المجلد السادس من احياء العلوم عــه ١٧

من مملوكات اويس ملا

[illegible]

تاليف الشيخ الإمام
العالم العلامة حجة الإسلام
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه الله

١٦٤٦

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين [illegible]
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وفقه الله [illegible] طالع [illegible]
[illegible] المفتش باوقاف الحرمين الشريفين [illegible]

كتاب حب المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات
من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مستوجب الحمد
برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع
الرزق وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقليب
الاحوال وردّدهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع
واليأس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود
والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير
والرضى بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن
عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا
وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ
بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى اله واصحابه الذين
سلكوا سبل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة
الشعب والاطراف واسعة الارجا والاكناف ولكن الاموال فتنها
واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجد فلا سلامة منها

فان فقد حصل منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد
حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة
فهي لا تخلو من الفوائد والافات وفوائدها من المنجيات وافاتها من
المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها
الا ذوو البصاير في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين
المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم
الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول
كل حظ عاجل والمال بعض اجزا الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة
البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها
وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما للانسان فيه حظ
عاجل ونظرنا الان في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه افات
وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما
حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص
واحديهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي
الناس او تشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر
الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحديهما
مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود

هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض
فيها مهم فنشرحه في فصول وبيان ذم المال ثم مدحه ثم
تفصيل فوايد المال وافاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص
والطمع ثم فضيلة السخا وحكايات الاسخيا ثم ذم البخل ثم
حكايات البخلا ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج
البخل ثم مجموع الوظايف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهية حبه قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاوليك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنه
وقال تعالى من كان يريد الدنيا وزينتها الايه وقال تعالى
الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال
والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الما البقل وقال عليه السلام
ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا لها من حب
المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك
الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم
وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنيا وقال عليه السلام
سياتي بعدي قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل

الحياة صح

٢

النسا والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره
الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا
تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها الهة
من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون
فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم
وخلف خلفكم الا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنايزهم ولا
يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه
السلام دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ
حيفه وهو لا يشعر وقال عليه السلام يقول ابن ادم مالي مالي
وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او
لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال
هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم فان قلب المومن مع
ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال
عليه السلام اخلا ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني
الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي
يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون
لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الما ولا نقدر على ذلك فقال

ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسن قال لكنهما عندي
والمدر سوا وكتب سلمان الى ابى الدردا يا اخى اياك ان تجمع من
الدنيا ما لا تودى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه
كلما تكفا به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله تعالى
فى ثم يجا بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه
كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله فى
فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكلما اوردناه فى
كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى
ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كلما ذكرناه فى ذم الدنيا
فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا
وانما نذكر الان ما ورد فى المال خاصة وقال عليه السلام اذا
مات العبد قالت الملايكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال
عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا **الآثار**
روى ان رجلا نال من ابى الدردا واراه سوا فقال اللهم من فعل
بى سوا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راى كثرة
المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضى الى

الطغيان ووضع على رضى الله عنه درهما فى كفه ثم قال اما
انك ما لم تخرج عنى لا تنفعنى وروى رضى الله عنه انه ارسل
الى زينب بنت جحش بعطايها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك
عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا
وقسمتها فى اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا
يدركنى عطا عمر بعد عامى هذا وكانت اول نسا رسول الله
لحقت به وقال الحسن والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله
وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدى حقا وقال سميط
ابن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى
النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا
تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله
ووضعه فى حقه وقال العلا بن زياد مثلت لى الدنيا وعليها
من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فابغض الدرهم
وذلك لان الدينار والدرهم هى الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع
اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل
٥ انى وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم ٥
وقيل لا تغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه
رفعه ولدى الدرهم فانظر عنه او ورعه وروى عن مسلمه بن عبد
الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المومنين
صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار
ولا درهم وعنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه
فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا
لهم ولم اعطهم ما لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله
كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي
ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل لو ادخرته لولدك
من بعدك قال ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ٥
ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك
اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من مائة الف درهم وقال يحيى بن
معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله
عند موته قيل وما هما قال يوخذ منه ويسال عنه كله **بيان**
مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا
في مواضع فقال تعالى ان ترك خيرا الوصية الاية وقال رسول الله صلى

خيرا صح

٥

الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في
ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليه
الا به وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون
كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان
تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه
خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من
حيث هو شر فانه ليس بالخير المحض ولا شر محض بل هو سبب للامرين
جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة مرة ويذم اخرى ولكن البصير
المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما
ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم
والقدر المقنع فيه هو ان مقصود الاكياس وارباب البصائر سعادة
الاخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام
والاكياس اذ قيل لرسول الله من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم
للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا
بثلث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق
والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن

كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة
اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما
خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس
هي الجوهر الشريف المطلوب بسعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة
ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة
الحواس والاعضا والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود
من المطاعم ابقا البدن ومن المناكح ابقا النسل ومن البدن تكميل
النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد
عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث انه ضرورة المطاعم
والملابس التي هي ضرورة بقا البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي
هو خير ومن عرف فايدة الشي وغايته ومقصده واستعمله لتلك
الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل
له الغرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح
ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة
عن سعادة الاخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم
محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به

الخبر ولما كانت الطباع مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة
لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد
على قدر الكفاية فاستعاذ الانبيا من شره حتى قال عليه السلام
اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض
خيره وقال عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واستعاذ ابرهيم عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وعنى به هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى
عليها ان تعتقد الالهية في شي من الحجارة وانما معنى عبادته حبه
والاغترار به والركون اليه قال نبينا عليه السلام تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان
محبهما عبد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل من كان عبدا لغير الله
فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان خفي لا يوجب الخلود في
النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون فانه اخفى من دبيب النملة وشرك
جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوايده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها وغوايلها
سمومها فمن عرف غوايلها وفوايدها امكنه ان يحترز من شرها
ويستدر منها خيرها اما الفوايد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية

اما الدنياوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين
اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية
فتنحصر جميعها في ثلاثة انواع، النوع الاول ان ينفقه على نفسه
اما في عبادة او في الاستعانة في عبادة اما في العبادة كالاستعانة
به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات
القربات والفقير محروم عن فضلهما واما في ما يتقوى به على العبادة
وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة
فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها
فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذه
الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوايد الدينية
ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ
الدنيا فقط، النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام
الصدقة والمروة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى
ثوابها وانها لتطفي غضب الرب وقد ذكرنا فضايلها واما المروة
فنعني بها صرف المال الى الاغنيا والاشراف في ضيافة وهدية وما
يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما تسلم الى المحتاج
الا ان هذا من الفوايد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقا

وبه يكتسب صفة السخا ويلتحق بزمرة الاسخيا ولا يوصف
بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة
وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في
الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر
والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع
هجو الشعرا وثلب السفها وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع
تنجز فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وكيف لا
وفيه منع المغتاب من معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه
من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة
واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة
اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه
سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات
السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه
من شرا الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه
وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا
اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور

ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران النوع الثالث
ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبنا المساجد
والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير
ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة
بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية
وناهيك به خيرا فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق
بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر
والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء
والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من
الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية اما الدينية
فثلاثة الاول انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز
قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان
آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه
انبعث والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور
فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة
اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء الثاني انه يجر الى التنعم في
المباحات وهذه اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال ان يتناول خبز الشعير

ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمن
عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه
نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجر
البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوا صل
اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمدا هنة
والكذب والنفاق وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه
ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجاته الى الناس ومن احتاج
الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان
من الآفة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا
ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد
والحقد والريا والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي
التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوار ح
وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالث
وهو لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله
تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال
عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه
من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه قال يشغله

اصلاحه عن الله فقيل ان اخذه ممن وهذا هو الداء العضال وان
اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والفكر في جلاله ويستدعي
قلبا فارغا وصاحب الضيعه يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح
ومحاسبته وخصومة الشركا ومنازعتهم في الما والحدود
وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجرا في النقص
والعمارة وخصومة الفلاحين في دنانهم وسرقتهم وصاحب التجارة
يكون متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل
وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الاموال
وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر
مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر
عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا
نهاية لها والذي معه قوت في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة
الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من
الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب
في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف
الباقي الى الخيرات وما عداه فسموم وآفات **بيان ذم الحرص
والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس** اعلم ان

الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون
الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايدي
الناس ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه
ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر
على اقله قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره
ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوف الى الكثير او طول الامل
فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص
والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات
وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى لهما
ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجيته ذات يوم
فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة
وايتاء الزكاة ولو ان لابن ادم واديا لاحب ان يكون له الثاني
ولو كان له الثاني لاحب ان يكون لهما ثالث ولا يملا جوف ابن
آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري

نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى يؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن ادم واديين من مال
لتمنى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله
على من تاب وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم
العلم ومنهوم المال وقال عليه السلام يهرم ابن ادم ويشب
معه اثنتان الامل وحب المال او كما قال ولما كانت هذه
جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تعالى ورسوله
على القناعة فقال عليه السلام طوبى لمن هدى الى الاسلام
وكانت عيشته كفافا وقنع به وقال عليه السلام ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا
وقال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى
النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال الا
ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له
ولن يذهب عبد في الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي
راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال
اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال
من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت
حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال
ابو هريرة قال عليه السلام يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع
فعليك برغيف وكوز من ما وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس
وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن
مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما
رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي عليه السلام
فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل
صلاة مودع ولا تحدث بحديث تعتذر منه غدا واجمع الاياس
مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال
الا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله
ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال
قايل منهم قد بايعناك فعلى ما نبايعك قال ان تعبدوا الله لا
تشركوا به شيا والصلاة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة
خفية ولا تسالوا الناس شيا قال فقد كان بعض اولياء النفر

ان سقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه الآثار
قال عمر ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييس عما
في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء قال قلة
تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل

العيش ساعات تمر وخطوب ساعات تكر
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر
فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من
قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفين خير دنياكم ما لم
تبتلوا بها وخير ما ابتليتم ما اخرج من ايديكم وقال ابن
مسعود ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك
يا ابن ادم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك
قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في
ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت
الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا اعطيتك
منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن

وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا
يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك انك فيقطع ظهره فانما
ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم
يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه رفعت حوائجي الى
مولاي فما اعطاني قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض
الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال
اسرها اليه ما قدم من عمل صالح واعونها له على دفع الحزن
الرضى بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس
غما الحسود واهناهم عيشا القطع واصبرهم على الاذى
الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم
ندامة العالم المفرط وقد قيل ارفه بال فتى يغدو على ثقة
ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون لا يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها
لم يلق في دهره شيئا يورقه وقد قيل

حتى متى انا في حل وترحال وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ومغربها لا يخطر الموت من حرصي على بالي

ولو قنعت اتاك الرزق في دعة ان القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم ما استحل من مال الله
حلتان لشتاي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي
بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم
ووالله ما ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر
هل هو زيادة على الكفاية التي تجب للقناعة بها وعاتب
اعرابي لاخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب
يطلبك من لا يفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكل ما
غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت اليه كانك
يا اخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقيل

اراك يزيدك الاثرا حرصا على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي ان رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع
بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا
اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصال هي خير لك من اكلي
اما الواحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت
على الشجرة اما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى

قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجرة
قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون
ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت
من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرين مثقالا قال فعض على
شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت
الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا تلهفن على ما
فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون
عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة
عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت فهذا مثال لفرط الطمع الادمي
فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال
ابن السماك ان الرجا حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجا
من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت
على الرشيد وهو ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم
فقلت فايدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين
البيتين في بعض خزاين بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت
اليهما ثالثا وانشدني اذا سد باب عنك من دون حاجة
فدعه لاخرى ينفتح لك بابها وان قراب البطن يكفيك ملوه

ويكفيك شهوات الأمور اجتنابها، ولا يكسبن الا لعرضك
واجتنب ركوب المعاصي تجتنبك عقابها وقال عبد الله
ابن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلما بعد اذ وعوه
وعقلوه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل
للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشي فيطلبه
فيذهب عليه دينه والشره فشره النفس في هذا وفي هذا
حتى لا تحب ان يفوتها شي ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا
حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شا
واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه
اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله
فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك
من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من اعجب
امر الانسان انه لو نودي بدوام البقا في ايام الدنيا لم يكن في
قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر
مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت من اين تاكل قال من بيدر اللطيف الخبير
الذي خلق الرحا هو يأتيها بالطحين واوما بيده الى اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدوا الذي يكتسب به صفة
القناعة اعلم ان هذا الدوا مركب من ثلاثة اركان الصبر
والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل
الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز
القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد
نفسه الى ما لا بد منه فمن كثر خرجه واتسع امكانه لم يمكنه
القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن
ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن
نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر
فان هذا القدر يسير باذنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب
فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق
في الانفاق وترك الخرق فيه قال عليه السلام ان الله يحب
الرفق في الامر كله وقال ما عال من اقتصد وقال عليه السلام
ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى
والفقر والعدل في الرضى والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدردا
يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك
وقال ابن عباس قال النبي عليه السلام الاقتصاد وحسن السمت

والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر
التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه الله وقال
عليه السلام اذا اردت امرا فعليك بالتوده حتى يجعل فرجا
ومخرجا والتوده في الانفاق من اهم الامور الثاني انه اذا
تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب
لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل او التحقيق
بان الرزق الذي قدر له لا بد وان ياتيه وان لم يشتد حرصه
وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الرزق بل ينبغي ان يكون
واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشاء
ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز
وتحتاج الى الذل في السؤال ولا يزال طول العمر يتعبه في
الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا
مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي
مثله قيل ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

لا تايسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فان الانسان
تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حزين فقال له لا يكثر
همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك وقال عليه السلام الا ايها
الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب
عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا
ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير
ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب
بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال
الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب
قلبه لاجله قال عليه السلام ابى الله ان يرزق عبده المؤمن
الا من حيث لا يحتسب وقال سفين اتق الله فما رايت تقيا محتاجا
اي لا يترك التقي فاقد الضرورة بل يلقي في قلوب المسلمين ان يوصلوا
اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك
قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من
حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئا

منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات
والارض وشيئا منها هو لغيري فذلك لم امله فيما مضى ولا
ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما منع الذي لي من غيري
ففي هذين افني عمري فهذا دوا من جهة المعرفة لا بد منه
لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر الثالث ان يعرف
ما في القناعة من عز الاستغنا وما في الطمع والحرص
من الذل فاذا احقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة
لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس
في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا
الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك مما ينضاف
اليه نظر الناس وفيه الوبال والمآثم ثم يفوته عز النفس
والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت
حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة
وذلك يهلك دينه ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن
فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي عليه السلام
عز المومن استغناوه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز
ولذلك قيل استغن عن من شئت فانت نظيره واحتج الى من

شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره
الرابع ان يكثر تامله في اليهود والنصارى واراذل الناس
والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم فمن لا عقل له
ثم ينظر الى احوال الانبيا والاوليا والى سمت الخلفا الراشدين
وساير الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوا لهم
ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على
الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه
بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان شبع
في البطن فالحمار اكثر منه اكلا وان نعم في الوقاع فالخنزير اعلى
رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى
رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته الا
الانبيا والاوليا الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر
كما ذكرناه من افات المال وما فيه من السرقة والنهب والضياع
وما في خلو اليدين من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من افات
المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسماية عام
فانه اذا لم يقنع بما يكفيه الحق بزمرة الاغنيا واخرج عن
جريدة الفقرا ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى

من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره فى الدنيا الى من فوقه
فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون فى المطاعم
والملابس ويصرف نظره فى الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق
على نفسك وتخاف الله تعالى وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله
والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال
ابو ذر اوصاى خليلى ان انظر الى من هو دونى لا الى من هو فوقى
اى فى الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه فى المال والخلق فلينظر
الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على
اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم
ان غاية صبره فى الدنيا ايام قلايل للتمتع دهرا طويلا فيكون
كالمريض الذى يصبر على مرارة الدوا لشدة طمعه فى انتظار
الشفا **بيان فضيلة السخاء** اعلم ان المال ان كان
مفقودا فينبغى ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص
وان كان موجودا فينبغى ان يكون حاله الايثار والسخاء
واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء
من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبى

صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة
اغصانها متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك
الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا
دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما استطعتم وفى رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه
وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
جبل الله تعالى وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر
قال قيل يا رسول الله خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما
الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء واما
اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد
خيرا استعمله على قضاء حوايج الناس وروى المقدام بن شريح عن
ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة
قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام
وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السخاء شجرة فى الجنة فمن كان سخيا اخذ بغصن من اغصانها فلم
يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن

[illegible]

كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن
حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي عليه السلم
يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا
في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية
قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده
كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير
وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وقال عليه السلام
ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الامور ويكره سفسافها
وقال انس ان رسول الله لم يسل على الاسلام شيا الا اعطاه
فاتاه رجل فساله فامر له بشا كثير بين جبلين من شاء
الصدقه فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي
عطا من لا يخشى الفاقه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل
بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره
وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني

العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب
رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما
بال هذا من بينهم فقال النبي عليه السلام نزل جبريل عليه
السلام فقال اقتل هولا واترك هذا فان الله تعالى شكر له
سخا فيه وقال عليه السلام ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف
تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم طعام الجواد دوا وطعام البخيل دا
وقال عليه السلام من عظمت نعمة الله عنده عظمت مونة
الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المونه عرض تلك النعمه للزوال
وقال عيسى عليه السلم وعلى نبينا استكثروا من شي لا تاكله
النار قيل ما هو قال المعروف وقالت عايشه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من النا
س قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من
الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله
من عابد بخيل وادوى الدا البخل وقال النبي عليه السلام اصنع
المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد

اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال عليه السلام
ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها
بسخاء الانفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين وقال ابو
سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه من حبب اليهم المعروف وحبب
اليهم افعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاه كما
تيسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها اهلها وقال
رسول الله كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه
واهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة
وما انفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها وقال كل معروف صدقة
والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه
السلام كل معروف جعلته الى غني او فقير صدقة وروي
ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري
فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعثا على قيس بن سعد بن عباده فجهدوا فنحر لهم قيس تسع
ركايب فحدثوا رسول الله بذلك فقال عليه السلام ان الجود لمن
شيمه اهل ذلك البيت الاثار قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت

الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق
منها فانها لا تبقى وانشد
لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف
وسئل معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم
فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن
قيامه بصنيعه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية
واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما
الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل
والرافة بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسين بن علي
رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت
في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسئلني الله عز وجل
عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك
عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه
وسئل بعض الاعراب فقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا
واعطى سايلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف
ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من سدى بحقوق

اهل الله تعالى في اهل طاعته ولا نازعه نفسه الى حب
الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري
ما السخا قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم
قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة
وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم
من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الا وان الله عز وجل
يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللوم من الكفر واهل
الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في
الجنة وقال حذيفة رب فاجر في دينه اخرق في معيشته
يدخل الجنة بسماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده
درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك
حتى يخرج من يدك وبمعناه قيل

انت للمال الذي امسكته ۝ فاذا انفقته فالمال لك ۝

وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا
امراة ضعيفة اعطاها شيا وقال الاصمعي كتب الحسين رأى صح
ابن علي الى الحسين بن علي يعتب عليه اعطا الشعرا فكتب اليه خير
المال ما وقى به العرض وقيل لسفين عيينة ما السخا فقال

السخا البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف
درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله
تعالى لاخواني الجنة في صلاتي فابخل عليهم بالدنيا وقال
الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض
الحكما من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل
فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان
اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده
عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف
رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل منهم
ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة ۝ حتى يصاب بها طريق المصنع ۝
فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها ۝ الله او لذوي القرابة او دع ۝

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن
امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب
اللئام كنت له اهلا **حكايات الاسخيا** عن محمد بن المنكدر
عن ام درة وكانت تخدم عايشة قالت ان ابن الزبير بعث اليها مالا
في غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس

فلما امست قالت يا جاريه هلمي فطوري فجاتها بخبز وزيت فقالت
لها ام دره ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم
لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت وعن ابان بن عثمان
قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال
يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملاوا عليه الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبد الله بشرا فاكهة وامر قوما فطبخوا
وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد
فاكلوا حتى صدروا قال عبد الله لو كان لنا موجود كلما اردت
قالوا نعم قال فليتغد هولا عندنا كل يوم وقال مصعب بن
الزبير حج معاويه فلما انصرف مر بالمدينه فقال الحسين بن علي
لاخيه لا نلقاه ولا نسلم عليه فلما خرج معويه قال الحسن ان
علينا دينا فلا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه
واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد
اعيى وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معويه ما هذا
فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد
الواقدي قال حدثني ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها
كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك

رجل اجتمع فيك خصلتان سخا وحيا فاما السخا فهو الذي
اطلق ما في يديك واما الحيا فهو الذي منعك عن تبليغنا ما انت
عليه وقد امرت لك بماية الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد
في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على نفسك وانت
حدثتني وكنت على قضا الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن (انس)
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن عوام يا زبير اعلم ان
مفاتيح ارزاق العباد بازا العرش يبعث الله عز وجل الى كل
عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر الله له ومن قلل قلل له وانت
اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث
احب الي من الجايزه ومن ماية الف وسال رجل الحسن بن علي
حاجة فقال له يا هذا حق سوالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما
يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير
في ذات الله قليل وما في ملكي وفا لشكرك فان قبلت الميسور
ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك
فعلت فقال يا بن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على
المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى
استقصاها فقال هات الفاضل من ثلثماية الف فاحضر خمسين

الفا مال فما فعل خمسمائة الدينار قال هي عندي قال احضرها
فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها
لك فاتاه بحمالين فدفع الحسن رداه لكرا الحمالين وقال
له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجوا ان يكون لي
عند الله اجر عظيم واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل
البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون
مثله وقد زوج ابنته وابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما
يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم
داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا
فحملوا ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه
ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر
ما يشغل مومنا عن عبادة الله وما بنا من التكبر ما لا نخدم
اولياء الله ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر
وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان
اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل
عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم ورهنهم بها حلي نسايه
وقيمتها خمسمائة الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم

ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من سلته صلاته هـ
وكان ابو طالب بن كثير شاعرا فقال له رجل الحق على بن ابي
طالب لما يبعث لي بحلتك بموضع كذا وكذا قال قد فعلت وحقه
لا عطينك ما يليها وكان اضعاف ما طلب الرجل وكان ابو ذلك
مرثد احد الكرما فمدحه بعض الشعرا فقال للشاعر والله ما
عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة
الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني
محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف
درهم واخرج ابو مرثد من الحبس وكان معن بن زايدة عاملا
على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الد خول
على معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل
الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على
خشبة والقاها في الما الذي يدخل بستان معن وكان معن على
راس الما فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب
ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيع
قال فقال من صاحب هذه فدعي الرجل فقال له كيف قلت
فقال له فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت البساط

فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها
ودعا بالرجل فدفع اليه مئة الف فلما اخذها الرجل
تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه فلما كان في اليوم الثالث
قرا ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق علي
ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وقال
ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خبا
لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها
الا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها
ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا الا هذه
الشاه فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم
فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى
ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه
فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم
ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاه فغضب الرجل
وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفيهم ثم تقولين نفر من
قريش قال ثم بعد مدة الجاتها الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها

وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت
العجوز الى بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس
على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه
فدعا العجوز وقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا
ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو
قال نعم ثم امر الحسن فاشترى لها من شاء الصدقة الف شاه
وامر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين
فقال لها الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاه والف دينار
فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله
ابن جعفر قال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاه
والفي دينار فامر لها عبد الله بالفي شاه والفي دينار وخرج
عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام
اليه غلام من ثقيف يمشي الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة
يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك فقلت اقيك
بنفسي واعوذ بالله ان طار بجناحك مكروه فاخذ عبد الله
بيده وتمشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار ثم دفعها الى الغلام
وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكى ان قوما من

اسخيائهم

العرب جاؤا الى قبر بعض اشياخهم للزيارة فنزلوا عند قبره
وجاؤا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم
في النوم صاحب القبر وهو يقول هل لك ان تبادل بعيرك
بنجيبي وكان خلف السخي الميت نجيبا معروفا ولهذا الرجل بعير
سمين فقال في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما
العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل
من نومه يثج الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم
لحمه وطبخه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم
الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان
ابن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال بعت من فلان
شيا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في
النوم فقال خذ هذا النجيب ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم
وهو يقول ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه • وقدم رجل
من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد
اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال
الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام في
حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف

فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك
قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك فابكاني •
واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي
في السوق بستين الف درهم فلما كان الليل سمع بكا خالد فقال
لاهله ما لهولاء قالوا يبكون لداره فقال يا غلام ايتهم واعلمهم
ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انفذ هرون الرشيد الى انس
ابن مالك خمس مائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه
الف دينار فغضب هارون وقال اعطيته خمس مائة دينار
وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المومنين ان لي في كل
يوم في غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم
وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم الف دينار
وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيا من عسل فامر لها
بزق فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا
وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة
وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي وكان
خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت
علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان يحيى لبد

اجلس عليه فاذا اخرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في
علة الشاه اكثر من ثلثماية دينار من بره حتى تمنيت ان الشاه
لم تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسما ابن خارجه بلغني عنك
خصال فحدثني عنها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت
عليك الا حدثتني بها قال يا امير المومنين ما مددت رجلي
بين يدي جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما الا
كانوا امن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل قط ليسالني شيا
فاستكثرت شيا اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمن
ابن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيا
كتب لمن ساله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاوه فلما نظر
اليه سليمان تمثل بهذا البيت

اني سمعت من الصباح مناديا يا من يعين على الفتى المعوان ۝

ثم قال حاجتك قال ديني قال وكم هو قال ثلثون الف دينار
قال لك دينك ومثله وقيل مرض سعد بن قيس بن عباده
فاستبطا اخوانه فقيل لهم انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين
فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا
فنادى من كان لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت درجته

بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحاق قال صليت الفجر في
مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت وضع بين
يدي حله ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان
الاشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكه فامر لكل من صلى في
المسجد بحله ونعلين وقال الشيخ ابو سعد الخركوشي النيسابوري
سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة
قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيا فولد لبعضهم ولد
قال فجيت اليه وقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي
ودخل على جماعة فلم يفتح بشي فجا الى قبر رجل وجلس وقال
رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم وكلفت جماعة
دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي فقال ثم قام واخرج دينارا
فكسره بنصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان
يفتح لك بشي قال فاخذته وانصرفت واصلحت ما اتفق لي
به فراي ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال
سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن بالجواب ولكن احضر منزلي
وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابه فيها خمسماية
دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل

المبيت وقص القصة فقالوا اجلس وحفروا الموضع واخرجوا
الدنانير وجاوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم
ولبس لي باي حكم فقالوا هو يستحي منا ونحن لا نستحي اجيا
فلما الحوا عليه حملوا الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر
القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف
الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفيني هذا تصدقوا به
على الفقرا فقال ابو سعد فلا ادري اي هؤلاء اسخى وروي
ان الشافعي رضي الله عنه لما مرض مرض موته قال مروا
فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني
بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رضي الله عنه
سبعون الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال
هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعد الواعظ الخركو بني
رحمه الله لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه
فرايت جماعة من احفاده فزرتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار
الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا
بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي رضي الله عنه
لا ازال احب حماد بن ابي سليمن لشي بلغني عنه انه كان راكبا

حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل اليه
ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط
فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى
الخياط واعتذر اليه في قلتها ○ وانشد الشافعي لنفسه
يا لهف نفسي على مال افرقه على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسألني ما ليس عندي من احدى المصيبات
وعن الربيع بن سليمن قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع
اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي
يقول قدم الشافعي من صنعا الى مكة بعشرة الاف دينار
فضرب خباه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم
اقبل على كل من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر
ونفض الثوب وليس عليه شي وعن ابي ثور قال اراد الشافعي
الخروج الى مكة ومعه مال وكان قل ما يمسك شيا من سماحته
ك فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك
قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت
بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها
ولكني بنيت بمنا مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها

وانشد الشافعي رضي الله عنه ۞ ارى نفسي تتوق الى امور
يقصر دون مبلغهن مالي ۞ فنفسي لا تطاوعني لبخل ۞ ومالي
لا يبلغني فعالي ۞ وقال محمد بن عباد المهلبي دخلت على
المامون فوصلني بماية الف درهم فلما قمت من عنده تصدقت
بها فاخبر المامون فلما عدت اليه عاتبني المامون في ذلك
فقلت يا امير المومنين منع الموجود سو الظن بالمعبود
فوصلني بماية الف اخرى ۞ وقام رجل الى سعيد بن العاص
فساله فامر له بماية الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك
قال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بماية الف اخرى ۞
ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكله بابيات امتدحه بها فوجده
عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال
عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه طول
المقام فكتب اليه ۞ ان حراما قبول مدحتنا وترك ما نرتجي
من الصفد ۞ كما الدنانير والدراهم في البيع حرام الا يدا بيد ۞
فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال
شهرين قال اعطه ثلثين الفا وجيني بدواة فكتب اليه
۞ اعجلتنا فاتاك عاجل برنا ۞ قلا ولو امهلتنا لم نقلل ۞

۞ فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كاننا لم نفعل ۞
ويروى انه كان لعثمن على طلحة خمسون الف درهم فخرج
عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه
فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك ۞ وقالت سعدى بنت
عوف دخلت على طلحة فرايت منه ثقلا فقلت ما لك قال اجتمع
عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام
علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربع مايه الف
وجا اعرابي الى طلحة فساله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه الرحم ما
سالني بها احد قبلك ان لي ارضا قد اعطاني بها عثمن ثلثمايه الف
فاقبضها وان شيت بعتها من عثمن ودفعت اليك الثمن فقال الثمن
فباعها من عثمن ودفع اليه الثمن ۞ وقيل بكى علي يوما فقيل ما يبكيك
فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني
واتى رجل صديقا ودق الباب فقال لم جيتني قال لاربع مايه درهم
فوزن اربع مايه واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته
اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي
به ۞ **بيان ذم البخل** قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاوليك هم
المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله

هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماهم ودعاهم
فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان
قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم
وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا
سيء الملكة وفي رواية ولا جبار ولا منان وقال عليه السلام
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال
عليه السلام ان الله يبغض ثلاثة الزاني والبخيل والمنان والمعيل
المختال وقال عليه السلام مثل المنفق والبخيل مثل رجلين
عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق
فلا ينفق شيئا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما
البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها
حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال عليه السلام
خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال عليه

السلام اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن
واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وقال عليه السلام اياكم
والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش لان الله
لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما اهلك من كان
قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم
بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام شر ما في الرجل شح هالع
وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي عليه السلام وما
يدريك انه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما
لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت رسول
الله الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه
فوقف رسول الله فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه
العضاه نعما لقسمتها بينكم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا
وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء
كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسألوني بالفحش او يبخلوني
ولست بباخل وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول

الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين
فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا
وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما قالا فقال له رسول الله لكن فلان اعطيته ما بين
عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسألني فينطلق في مسألته
متابطها وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار قال يأبون
الا ان يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا
يجد الله لكم الا ان الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل
راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان سدرة
المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله
الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل
من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى بعض اغصانها
الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر
والكفر من النار وقال عليه السلام السخاء شجرة تنبت في الجنة
فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة في النار ولا يلج النار الا بخيل
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم

يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل
فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم
عمرو بن الجموح وفي رواية قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم
تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزنه
بالبخل فقال عليه السلام واي داء ادوا من البخل ليس ذلك
سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر
بن البراء وقال عليه السلام ان الله يبغض البخيل في حياته
السخي عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله السخي الجهول
احب الى الله من العابد البخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال
عليه السلام ايضا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء
الخلق وقال عليه السلام لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا
وقال عليه السلام يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم
اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل
الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة
هذا البيت الا غفرت لي فقال رسول الله وما ذنبك صف لي قال

قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام
الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك
اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم
ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام
العرش قال بل ذنبي يا رسول الله اعظم قال فذنبك اعظم ام الله
قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك فقال يا رسول
الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السايل ياتيني ليسالني
فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله اليك عني
لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن
والمقام ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار
وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار
ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما
علمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الاثار** قال ابن عباس
لما خلق الله تعالى جنة عدن فقال لها تزيني فتزينت ثم قال
لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور

وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان واظهرت انهار الخمر وانهار
العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك وكراسيك
وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال
تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله وعزتي لا اسكنك بخيلا
وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف للبخيل ولو كان البخل قميصا
ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد انا
نجد باموالنا ما يجد البخلا ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر
كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر الله عليهم شرارهم
وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي في خطبته انه سياتي
على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يديه ولم يومر
بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن
عمر الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره
حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما
في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او
الكذب وقيل وفد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم
فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب
وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم

مشنعفا وقال الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله
ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة
يموتون فقرا ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك
في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله
تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى ۝
وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان ينادبان اللهم
لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا
وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا
في عينيه وكانما يرى السائل اذا راه ملك الموت اذا اتاه
وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل
على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان
هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي ما استقصى كريم
قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ
ما بقي من اللذات الا ذم البخلا واكل القديد وحك الجرب ۝
وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم
انك لبخيل ومدحت امراة عند النبي عليه السلام فقالوا صوامة مد
قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر

٢٠

الى البخيل يقسي القلب ووفا البخلا كرب على قلوب المومنين
وقال يحيى بن معاذ يابى القلب للاسخيا الا حبا ولو كانوا
فجارا وللبخلا الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز
ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليه السلام
ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك
وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض
الناس الي الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله
والفاسق السخي اخوف ان يطلع الله في سخايه فيقبله ثم ولى وهو
يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك **حكايات البخلاء** قيل
كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم
اليه طباهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الما فانتفخ
بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الامر
وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت فقال
هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض
قيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسايه
فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران شيا قال
نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال فاين التين فقال هو تحت كسايك

ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه
مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي
صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى ويحكى ان محمد بن
خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه
عنه وقال له قايل صف مايدته فقال هي فتر في فتر وصحافه
منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضره قال الكرام الكاتبون
قال فما ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءة له انت
خاص به وثوبك مخرق فقال اني والله ما اقدر على ابرة اخيط
بها ولو ملك محمد بن خالد بيتا من بغداد الى القريه مملو ابرا ثم
جاه جبريل وميكايل ومعهما يعقوب النبي يضمنون عنه ابرة
ويسالونه اعرنا اياها لنخيط بها قميص يوسف الذي قد من
دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم حتى
يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له راسا فاكله
فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم
تختار ذلك فقال الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا
يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان
ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل

منه الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا
ودماغه لونا واكفي مونة طبخه فقد اجتمعت لي فيه
مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة
من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجايزه قال ان اعطيت مية
الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة
دوانيق واشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى
القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان
للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت
اكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم
فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه
كسرة وملحا اذ سال سايل فقال له رب المنزل بورك فيك
فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة
قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا فناداه الاعمش
اذهب ويحك والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو
منذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما ۞

بيان الايثار وفضله اعلم ان السخا والبخل كل واحد ينقسم
الى درجات فارفع درجات السخا الايثار وهو ان تجود بالمال

مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما يحتاج اليه
لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد فكما ان السخاوة
قد ينتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج والبخل قد ينتهي الى
ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا
يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو
وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذاك يوثر
على نفسه غيره مع انه لاحاجة به الى ذلك فانظر ما بين الرجلين
فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشا وليس بعد الايثار
درجة في السخا وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال تعالى
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام
ايما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت
عايشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية
حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا نوثر على انفسنا ونزل
برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيا
فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه
الطعام وامر امراته باطفا السراج وجعل يمد يده الى الطعام
كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله عز وجل من
صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة فالسخا خلق من اخلاق الله والايثار اعلى درجات
السخا وكان ذلك من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال
سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام ارني بعض درجات محمد
عليه السلام وامته قال انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من
منازله عظيمة جليلة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال
فكشف له عن ملكوت السما فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه
من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه
الكرامة قال بخلق اختصصته به وهو الايثار يا موسى لا ياتيني
احد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبوأته
من جنتي حيث يشا وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل
على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذا اتى الغلام بقوته ودخل
الحايط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك
كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت بهذا الكلب قال ما هو بارض كلاب

انما جاء من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع
اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام على السخاء
ان هذا لاسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيهما من الآلات واعتق
الغلام ووهبها منه وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان
اخي كان احوج اليه مني فبعث اليه به فلم يزل يبعث به الواحد الى آخر
حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول وبات علي بن ابي طالب
على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى
جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما
اطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة
واحباها فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت
بينه وبين محمد نبيي فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة
اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه وكان جبريل عند راسه وميكائيل
عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك
الملائكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله والله رؤف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع
عنده نيف وثلثون نفسا وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة

معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج
وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم
شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروى ان شعبة جاءه سايل ولم يكن
شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال
حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي
من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا
انا به فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي
ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر
فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجيته فاذا قد مات فرجعت الى
هشام فاذا هشام قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عياش
ابن دهقان ما خرج واحد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه
رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه واعطاه اياه واستعار
ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة
وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا
نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال وقعدنا فلما نظر الكلب الى
الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء
الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها

وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميته وبقي ذلك
العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجا الى تلك
العظام فاكل ما بقي على العظم قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار
الايثار واحوال الاوليا فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده
بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما لعلك تقول عرف بشواهد الشرع
ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا
وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا
وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل
ويقولون اخرون هذا ليس من البخل وما من انسان الا ويجد في
نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير
بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل واذا كان الامساك
مطلقا لا يوجب البخل لا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب
الهلاك وما حد السخا الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها
فنقول قد قال قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب
عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب
والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق
وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في

لقمة زادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن كان بين
يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا
وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطية وهو ايضا قاصر
فانه ان اريد انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية
القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه
يستصعب بعض العطايا فما من جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا
وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم
بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطا بلا من واسعاف على غير
روية وقيل الجود عطا من غير مسلة على روية التقليل وقيل الجود
السرور بالسايل والفرح بالعطا بما امكن وقيل الجود عطا على روية ان
المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير روية
الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر
وابقى لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات
غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود
وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف
اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه

بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل
فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك
تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون الجود والسخاء
عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله الا بالسخاء وقيل له ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل له والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والاسراف
وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب
ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه بل ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع
له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها
فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا
من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه فان قلت فقد
صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب
قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع
واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن
الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله
واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما
يتسخى بالتكلف والذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من اطيب

ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو
ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح
واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله
يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من
الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع
الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح
في الضيافة مع المضايقة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في
المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او
معاملة وبما المضايقة فيه من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا
يستقبح في غيره ويستقبح في شرا الكفن مثلا او شرا الاضحية او شرا
خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة
من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من
صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو
الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة
وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال
عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من
حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم من حفظ

المال فالمضايق في الدقايق مع من لا يحسن المضايقة معه
هالك ستر المروة لحب المال فهو بخيل بنوع درجة اخرى وهو ان يكون
الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروة ويجتمع معه مال كثير قد
جمعها وليس يصرفها الى الصدقات والى المحتاجين فقد بقي بل يحفظ
المال ليكون له عدة على نوايب الدهر وغرض الثواب ليكون رافعا الدرجا
في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل
عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا
فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا
سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت
الواجبة وليس علي غيره ويختلف استقباح ذلك باختلاف
مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقا قد
فمن ادى واجب الشرع وواجب المروة اللايقة به فقد تبرأ من البخل
نعم لا يتصف بصفة الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب
الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث
لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر
ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس
اجود من بعض واصطناع المعروف وراما يوجبه العادة والمروة هو

الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجا
خدمة او مكافاة او شكر او ثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو بياع
وليس بجواد يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في
نفسه والجود هو بذل الشي من غير عوض هذا هو الحقيقة
ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز
اذ لا يبذل الشي الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الاخرة
او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذايل البخل فيسمى
جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا ومن ملامة
الخلق او ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من
الجود لانه مضطر اليه لهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها
فهو معتاض لا جواد وكما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على
حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن
مسألة فقالوا لها سلي عما شئت فاشاروا الى حبان بن هلال فقالت
ما السخا عندكم قال العطا والبذل والايثار قالت هذا السخا
في الدنيا فما السخا في الدين قالوا ان نعبد الله سخية بها انفسنا غير
مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا
لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم

واحده واخذتم عشرا فبای شی تسخيتم عليه قالوا الهنا فما السخاء
عندك يرحمك الله قالت السخا عندی لن تعبدوا الله متلذذين
متنعمين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون
مولاكم يفعل بكم ما يشا الا تستحيون من الله تعالى يطلع على قلوبكم
فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشی ان هذا فی الدنيا لقبيح وقالت
بعض المتعبدات احسب ان السخا فی الدرهم والدينار فقط قالت
فقيم قالت السخا عندی فی المهج وقال المحاسبی السخا فی الدين ان
تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل وتسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق
دمك لله تعالى بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا
ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن
كمال السخا بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذی يفعل
لك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك **بيان علاج البخل** اعلم ان البخل
سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التی لا
وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت
بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذی يحتاج اليه فی يوم او فی
شهر او فی سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام
الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه فيمسك لاجلهم

ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف
الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجی الرزق قوی البخل لا محالة
السبب الثانی ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لنفسه
عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته وتفضل الف وهو شيخ
بلا ولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواه
نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها
فی يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فيضيع
او يأخذه اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق
وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما فی كبر السن وهو مرض مزمن
لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله
لنفسه ثم نسی محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ
الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ
ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب فی نفسه وهو
غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث
قضا حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة
فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج
حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة

ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال
وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه
خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن
ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير
وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فكفيه الله وان
كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه
ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل
ومدح السخا وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن
الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلا ونفرة الطبع
عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من
غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل ومستقذر
في قلوب الناس مثل ساير البخلا في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان
يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال
الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل له ثواب بذله
فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة
ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في
البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر

الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده
عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له وقال
انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج
قال لم امن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول
صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا تزول العشق الا بمفارقة المعشوق
بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عليه مدة
تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق
المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الما كان اولى من امساكه
اياه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن
الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا حتى تسمح نفسه
بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل
واكتسب به خبث الريا ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا ويزيله بعلاج
ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما
قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها
لا ليخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره
فكذلك الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما
تسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها وتسلط الغضب

على الشهرة ويكسر رعونته بها الا ان هذا مفيد في حق من
كان البخل عليه اغلب من حب الجاه والريا فيبذل الاقوى
بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه
فانه يقطع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا
يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه
ولو كان البذل يشق عليه مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك
يدل على ان مرض القلب اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه
الصفات ببعض ما يقال من ان الميت يستحيل جميع اجزايه دودا
ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددهم ثم ياكل بعضهم بعضا
حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى
ان يغلب احدهما الاخرى فتاكلها وتسمن بها ثم لا يزال يبقى وحدها
جايعة الى ان تموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان
تسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ويجعل الاضعف قوتا للاقوى
الى ان لا يبقى الا واحدة ثم يقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة
وهو منع القوت منه ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها اه
فانها لا تقتضي لا محالة اعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت
مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل

المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل
طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم
يرجع الى معرفة آفة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى
البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع
تحقق المعرفة فيه واذا لم يتحقق المعرفة لم يتحرك الرغبة فلم يتيسر
العمل فيبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدوا وامكان
استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة
بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم
من الاختصاص بزواياهم وكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته
وما فيه نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه واخرجه
عن جميع ما ملكه واذا راه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة ده
يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه
قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل
انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب
ولذلك اذا سرق كل واحد منه المت به مصيبة بقدر حبه له
فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل
وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك

حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له
نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده
كيف ترى هذا قال اراه مصيبة وفقرا قال كيف قال ان انكسر كان
مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثلها وقد كنت
قبل ان حمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما
وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا
وهذا شأن جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله
اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة
لله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها
فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها
الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد
ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يأخذ منه
الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه
لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه
فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس
منه بمقدار الحاجة **بيان مجموع الوظائف** التي على العبد في
ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه

ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق
ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو
احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف **الاولى** ان يعرف
مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب
ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه
الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب
عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة
في المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي
فيه الذل وهتك المروة وما يجري مجراه **الثالثة** في المقدار
الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب
ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد
ثلث درجات ادنى واوسط واعلى ومادام مائلا الى جانب القلة
ومقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء من جملة المحقين وان جاوز
ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات
في كتاب الزهد **الرابعة** يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق
غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في
حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في

عن حقه سوا **الخامسة** ان يصلح نيته في الاخذ والترك
والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة
ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره
وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا
اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه
ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد ولتكن جميع
حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على
العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء
الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك
بهما صارا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في
كل ما يحفظه من قميص وازار وفراش وانية لان كل ذلك
مما يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد
به ان ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته
فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها
واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن
رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم
في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنيا الصحابه شابه

الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها
فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا
صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتدا به
فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل
المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل
هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الحية لانت وكما
ف يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال واطراف
البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل
في تناول المال **بيان ذم الغنى ومدح الفقر** اعلم ان الناس
قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد
اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق
فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى
على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على
حكاية فصل ذكره الحارث رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد
على بعض العلماء من الاغنيا حيث احتج باغنيا الصحابة وبكثرة مال
عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر
هذه الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن

عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه
جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد
على علماء السو بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علما
السو تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون
وتدرسون ما لا تعملون فيا سو ما تحكمون تتوبون بالقول
والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم
وقلوبكم دنسة بحق اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق
الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا
تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم
تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم
بحق اقول افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخره
فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين
وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم
بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد

اتقيا ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم
فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم
بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة
فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسو اعمالكم ثم قال الحرث
اخواني فهولا علما السو شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا
في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا
فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون او يعفو
الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره
ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى
التلف والبوار مصيره فرح الهالك برجاه فلم تبق له دنياه ولم يسلم
له دينه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها
من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني
ولا يغرنكم الشيطان واولياوه من الانسين بالحجج الداحضة عند
الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير
والحجج ويزعمون ان اصحاب رسول الله كانت لهم اموال فيتزين
المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد
دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك

ثم مال عبد الرحمن بن عوف فمكيدة الشيطان ينطق بها لسانك
فيهلكك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال
للتكاثر والشرف والزينة لقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر
عظيم ومتى زعمت ان المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازريت
محمدا والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير
الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل
اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى
من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة
اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم
بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا
نعم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله لم ينظر لعباده
حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان
الله لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال
من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع
الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر ما
دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما

ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلقد ود ابن عوف في
القيمة انه لم يوت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال اناس من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب
سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا
وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي عظم
بعير فاخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك
فخرج هاربا حتى دخل على عثمن يستغيث به واخبره الخبر واقبل
ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمن فلما دخل قام
كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن
اليهودية تزعم لا باس بما ترك عبد الرحمن لقد خرج رسول الله
يوما نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله
فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة الا من قال هكذا
وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا
ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي ما يسرني ان لي مثل احد
انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال
يا ابا ذر وانت تريد الاكثر فرسول الله يريد هذا وانت تقول يا ابن

اليهودية لا باس بما ترك عبد الله بن عوف كذبت وكذب من قال
فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف
قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينه ضجه واحدة فقالت
عايشه ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله
فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقرا المهاجرين والمسلمين
يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنيا يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن
عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن العير وما عليها
في سبيل الله وان ارقاها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن ابن عوف اما انك
اول من يدخل الجنة من اغنيا امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك
انما المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه
وصنايعه المعروفة وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة ايضا يوقف في
عرصة القيمة واهوالها بسبب مال اكتسبه من حلال للتعفف
ولصنايع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سمحا
منع من السعي الى الجنة مع الفقرا المهاجرين وصار يحبو في اثارهم

حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقى في فتن الدنيا وبعد فالعجب
كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب
على اوساخ الناس وقد تتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة
وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم انك جمعت المال
فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا
من قياس ابليس ومن فتياه لاوليايه وساصف لك احوالك واحوال
السلف لتعرف فضايحك وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض
الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا
حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها
حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا والله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها
وفي الشدة اثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت
والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابة كانوا
للمسكنة محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله في ارزاقهم واثقين
ولمقادير الله مسرورين وفي البلا راضين وفي الرخاء شاكرين
وفي الضر صابرين وفي السراء حامدين وكانوا لله متواضعين
وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح
لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها

وتجرعوا امرارتها وزهدوا فى نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك
انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا
وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا راوا الفقر مقبلا
قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح
وعند عياله شى اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شى اصبح
فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شى حزنوا
واذا كان عندهم شى فرحوا وانت لست كذلك قال انى اذا
اصبحت وليس عند عيالى شى فرحت اذ كانت لى برسول الله اسوة
واذا كان عند عيالى شى اغتممت اذ لم يكن لى بآل محمد اسوة
وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخا حزنوا واشفقوا
وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها وكانهم على جناح خوف واذا
سلك بهم سبيل البلا فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا
ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما
وصفنا افبالله كذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف
احوالك ايها المفتون ضد الاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى
وتبطر فى الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذى النعماء
وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم

وتبغض الفقر وتأنف من المسئلة وذلك فخر المرسلين
وانت تأنف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر
وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى
به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها
ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
شرار امتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليهم اجسامهم وبلغنا ان
بعض اهل العلم قال يجى يوم القيمة قوم يطلبون حسنات
لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها وانت فى غفلة قد حرمت نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا
فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر
والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا انه من طلب الدنيا
لتكاثر بها او ليفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وانت غير
مكترث لما حل بك من غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو
نعم وعساك المكث فى الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار
الله تعالى فانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت فى
غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا وقد
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على

دنيا فاتته اقرب من النار منتيقة سنه وانت تاسف على ما
فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تفرح من
دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك
وتتمادح لتك لك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله قال من
احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض
اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا
ومحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك
وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعناك تعنى بامور دنياك
اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعناك مصيبتك في معاصيك
اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب
مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعناك تبذل للناس ما جمعت
من الاوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعناك ترضى المخلوقين
مساخطا لله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك فكان احتقار
الله تعالى لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك
وعناك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك
فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس
وكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق

عند ذوي الالباب وهذه المثالب فباء ان لك متلوث
بالاقذار وتتجج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف
والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم
ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكانوا
للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكباير المعاصي فليت اطيب مالك
واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من سيئاتك كما
اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثل افطارهم
وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع
حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة انه
قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم
فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة
فسبحان الله العظيم كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار
الصحابة في العلو عند الله وفريق اشكالكم في السفال او يعفو
الله الكريم بفضله وبعد فانك ان زعمت انك متاسي بالصحابة
بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك
هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك
محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة

قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب
من الحرام افتطمع في تمسك في مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة
ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال
البر مكر من الشيطان ليوقع بسبب البر في اكتساب الشبهات
الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور
اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك
عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل
البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا
مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة
لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس
بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله
ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان
خيار الصحابة خافوا المسايلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما
سرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله
ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله
قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين كسبت وفي

اي شي انفقت فهولاء المتقون كانوا في جدة الاسلام
والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة
ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الافة والحلال في
دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال
من الحلال ويحك فاين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال
موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا
ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد
قلبه فتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلب الصحابة فلا تزول في شي
من الحق في امرك واخوانك لئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن
بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان
تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه
بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في
الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد
جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار
ويؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا
به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال
فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشي مما فرضت عليك

من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها
ووضوءها فيقال لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال
ولم اضع شيا مما فرضت ولم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك
اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول
لا يا رب لم اختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد
امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا
مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه
قال فيجي اوليك فيخاصمونه فيقولوا يا رب اعطيته واغنيته
وجعلته بين اظهرنا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيا
من الفرايض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة
انعمتها عليك من اكله او شربة او لذة فلا يزال يسال ويحك
فمن ذا الذي تعرض لهذه المسايلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب
في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرايض بحدودها حوسب
هذه المحاسبة فكيف ترا يكون حال امثالنا الغرقى في فتن
الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل
هذه المسايلة تخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف

منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهولاء
الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع
والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل
في سبيل الله ولم تنفق شيا من الحلال الا بحق ولم تتغير بسبب
المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرايرك
وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي
لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذ وقفوا للسوال
وتستبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس
عليك للمسايلة للحساب فاما سلامة واما عطب فانه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين
قبل اغنيايهم الجنة بخمسماية عام وقال عليه السلام يدخل
فقرا المومنين الجنة قبل اغنيايهم فيتمتعون ويأكلون
والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي انتم حكام
الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان
بعض اهل العلم قال ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل
الاول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق
مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف

والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين
لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من
ما وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع
عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكا فلما اكثر البكاء
قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا ذات
يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه احد في
البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك عني فقلت
له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال
هذه الدنيا تطاولت الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد
خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني
من بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهولا الاخيار بكوا وخافوا
ان يقطعهم عن رسول الله شربة من حلال ويحك انت في انواع
النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع
اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن رسول
الله محمد المصطفى لتنظرن الى اهوال تجزع منها الملايكة والانبيا
ولين قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولين اردت

الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولين لم تقنع بالقليل
لتصيرن الى وقوف طويل في صراخ وعويل ولين رضيت باحوال
المتخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين
ولتبطين عن نعيم المتنعمين ولين خالفت احوال المتقين
لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت
وبعد فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل
وازهد في الحلال بذول لماله مؤثر على نفسه لا يخشى الفقر
ولا يدخر شيا لغد مبغض التكاثر والغنى راض بالفقر والبلا
فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو
والرفعة قوي في امره لا يتغير عن الرشد فلبك قد حاسبت
نفسك في الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله
ولن تتوقف في المسايلة ولن تحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع
المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور
فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال
وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار
اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسايلة وامن من روعات
القيمة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند الله اضعافا ٥

بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لو ان رجلاً في حجره دنانير
يعطيها والاخر يذكر الله لكان الذاكر افضل وسُئل بعض اهل
العلم في الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابرّ به وبلغنا
ان بعض خيار التابعين سُئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا
حلالا فاصابها فوصل فيها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر
فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد
والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغا
ربها ويحك فهذا افضل لك فترك الدنيا على من طلبها ولك
في العاجل ان تركك الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك
واقل لتعبك وانعم لعيشك وارخى لبالك واقل لهمومك فما
عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال
لاعمال البرّ نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل
الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الاجل
وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم
الاخلاق ان تاسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى ما اختار
لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان
السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لوا المصطفى سابقا

الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سادات المومنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشا
واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا ما يواريه
ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا
عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مع النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي متى
جمعت هذا المال من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت
انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه
وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والريا والسمعة
والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع
المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور
ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل
في الرضى بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال
مزريا على نفسك معترفا باساتك وجلا من الحساب فذاك
انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا
ان دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع
الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود

وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة فاما جمع
المال في دهرنا فاعاذنا الله واياكم منه وبعد فاين لنا بمثل
تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل
ضمايرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السماء بادوا النفوس واهوا ها
وعن قريب يكون الورود فيا لسعادة المحققين يوم النشور وحزن
طويل لاعمال المكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلين
لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر كلامه
وفيه كفاية في اظهار فضل الغني على الفقير ولا مزيد عليه ويشهد
لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب
الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي
ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا
قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا
رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة
اما ترضى ان تكون مثل نبي الله تعالى اما والذي نفسي بيده لو شئت ان
تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق
لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن
ولافعلن قال رسول الله اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت

كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا
من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما
سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهي
تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة
يسألهم عن الاخبار وسأل رسول الله عنه فقال ما فعل
ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة
واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرايض الصدقة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا
من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما
ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة
فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما
فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها

فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا وما نريد ناخذ هذا منك
قال بل خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما
فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة
فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذا اخت الجزية انطلقا
حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما
قال ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه بالذي صنع
ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم الله من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما
كانوا يكذبون وعند رسول الله رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما
انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك يا ثعلبة
قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي فساله ان يقبل
منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل
يحثي التراب على راسه فقال له رسول الله هذا عملك امرتك فلم
تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه

فابى ان يقبلها وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمن وهذا طغيان
المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة
الفقر وشوم الغنى آثر رسول الله الفقر لنفسه ولاهل بيته
حتى روي عن عمر انه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاه
فقال يا عمر ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمة بنت رسول الله فقلت نعم بابي وامي انت فقام وقمت
معه حتى وقفت بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم
ادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي
قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمر بن الخطاب قالت والذي
بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة فقال اصنعي بها هكذا وهكذا
واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى
اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي على راسك ثم
اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت قالت
اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على
طعام اكله فقد اضر بي الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم
على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا

ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نسآء
اهل الجنة فقالت فاين اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران
فقال اسية سيدة نسآ عالمها وخديجة سيدة نسآء عالمها
وانت سيدة نسآ عالمك اكن في بيوت من قصب لا اذى فيها
ولا صخب فقال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا
في الدنيا سيدا في الأخرة فانظر الان الى فاطمة وهي بضعة
من رسول الله كيف اثرت الفقر وتركت المال ومن راقب احوال
الانبيآ والاوليآ واقوالهم وما ورد من اخبارهم واثارهم في ان
فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما
فيه ادآ الحقوق والتوقي من الشبهات اشتغال الهم باصلاحه
وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع
شغل المال وقد يروى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى
ابن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا
رغيفا وبقي رغيفين فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد
الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري قال فانطلق
ومعه صاحبه فراى ظبية معها خشفان لها قال فدعى احدهما

فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذاك الرجل ثم قال
للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي
اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال ما ادري ثم انتهيا الى
وادي ما فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على المآء فلما جاوزا قال
اسئلك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري
فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا
او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه بثلثة اثلاث
فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال فانا اخذ
الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه
رجلان الى المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه
فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري
طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث لاي شي اقاسم
هؤلاء هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما قال ففعل
وقال ذانك لاي شي نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلنا ٥
واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام
فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واوليك الثلاثة قتلى عنده فمر
بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لاصحابه هذه

الدنيا فاحذروها وحكى ان ذا القرنين اتى على امة من
الامم ليس في ايديهم شي مما يستمتع به الناس من دنياهم قد
احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها
وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهايم وقد قيض لهم
في ذلك معايش من نبات الارض وارسل ذو القرنين الى ملكهم
فقال له اجب ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه
ذو القرنين قال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا قد جيت
فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما
اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قال وما ذاك
قال ليس لكم دنيا ولا شي افلا اتخذتم الذهب والفضة
فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها
شيا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما
بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها
وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملتنا الدنيا
منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل
من الارض افلا اتخذتم البهايم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها
فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورايناً في

نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام
واي ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كايناً ما كان
من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض من خلف ذي القرنين فتناول
جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال
ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على الارض فغشم وظلم
فلما راى الله منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقاه وقد احصى
الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة اخرى باليه
فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ادري ومن هو قال
هذا ملك ملكه الله بعده كان قد يرى ما يصنع الذي قبله بالناس
من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وامر بالعدل
في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في
آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد
كانت كهاذين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له
ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتاني
الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا
قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق
قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا

أحد أحداً يعادني لرضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة
الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به ٥
فهذه الحكايات تدل على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل

تم كتاب حب المال بحمد الله تعالى وعونه
ويليه كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب
الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين

كتاب ذم الجاه والرياء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله علام الغيوب
المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب ٥
العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر
النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل
ووفى وخلص عن شوائب الشرك وصفى فإنه المتفرد بالملكوت
والملك فهو أغنى الأغنياء عن الشرك والصلاة على محمد وآله وأصحابه
المبرئين من الخيانة والإفك وسلم كثيراً ٥ أما بعد فقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء
والشهوة الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولذلك

عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلاً عن عامة
العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها
وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك
سبيل الآخرة فإنهم بما قهروا أنفسهم وجاهدوها وفطموها
عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على
أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة
الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير
وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة
إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم
فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم
تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله
وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه للشبهات
وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء
وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام
وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا
على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه في المحافل
غاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس

وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا
له في اغراضه موقرين فاصابت النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات
وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن
لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن ان حياته بالله وبعباداته
المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها
الا العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله
ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا
للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار
واحبطت بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبت
اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين
وهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة
لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤوس
الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي
هو اعظم شبكة الشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته
ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض

منه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول** في حب الجاه
والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول
وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب
في كونه محبوبا اشد من حب المال وبيان الجاه كمال وهمي
وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان
السبب في حب المدح والثنا وكراهة الذم وبيان العلاج في حب
الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان
اختلاف احوال الناس في الذم والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها
منشا معاني الريا فلا بد من تقديمها **بيان ذم الشهرة** وانتشار
الصيت اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار
وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله لنشر دينه
من غير تكلف طلب للشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير
الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال جابر بن عبد الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر الا من عصمه
الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان
الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى اعمالكم ولقد ذكر

الحسن للحديث تأويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له
يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع قال
انه لم يعن بهذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه
وقال علي ابذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم
واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابرهيم بن ادهم
ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد
الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت
حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس
اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من
عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا
نحن حول ابي بن كعب يمشي خلفه اذ راه عمر فعلاه بالدرة فقال
انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال ان هذا ذلة للتابع
وفتنة للمتبوع وعن الحسن خرج ابن مسعود يوما من منزله
فاتبعه الناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون
ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان
خفق النعال حول الرجال قل ما تثبت قلوب الحمقى وخرج الحسن
ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان

يبقى هذا من قلب المؤمن وروي ان ابن محيريز في سفر قال فلما
فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي
ولا يمشى اليك وتسأل ولا تسأل فافعل وخرج ايوب في سفره
فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني
لهذا كاره لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب
على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي
اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل
عليه رجل عليه اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير
به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين
الثياب الجيدة والثياب الردية والابصار تمتد اليهما جميعا
وقال رجل لبشر بن الحرث اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك
وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر
ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال
ايضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس بيان فضيلة
الخمول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر
ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وقال ابن مسعود قال النبي عليه السلام رب ذي طمرين لا يؤبه له

لو اقسم على الله لابره لو قال اسئلك الجنة لاعطاه الجنه
ولم يعطه من الدنيا شيا وقال عليه السلام الا ادلكم
على اهل الجنه كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره
واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذى
طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يوذن
لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم
حوائج احدهم تتخلجل فى صدره لو قسم نوره يوم القيمة لوسعهم
وقال عليه السلام ان من امتى من لو اتى احدكم يسئله دينارا
لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلسا
لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة لاعطاها اياه ولو
سأله الدنيا لم يعطها اياه وما منعها اياه لهوانه عليه رب
ذى طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وروى ان عمر رضى الله عنه
دخل المسجد فاذا هو بمعاذ يبكى عند قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا شرك وان الله يحب الاتقيا
الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا

تلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبرآء مظلمة وقال
محمد بن سويد قحط اهل المدينة وكان بها رجل صالح لازم
لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعائهم
اذ جاء رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين واوجز فيهما
ثم بسط يديه فقال اقسمت عليك الا امطرت علينا السما عد
فلم يرد عليه ولم يقطع دعاه حتى تغشت السماء بالغيم
وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يا
رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع
الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال
انى اتيتك فى حاجة قال ما هى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله
انت انت وتسألنى ان اخصك بدعوة فقال ما الذى بلغك ما رايت
قال اطعت فيما امرنى ونهانى فسالت الله فاعطانى وقال
ابن مسعود كونوا ينابيع العلم ومصابيح الهدى احلاس البيوت
سرج الدجى جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى اهل
السما وتخفون فى اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليائى عندى من خفيف الحاذ
ذو حظ من صلاه احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان

غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك
قال ثم نفد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال
عجلت منيته وقل تراثه وقل بواكيه وقال عبد الله بن عمر
احب عباد الله الى الله الغربا قيل وما الغربا قال الفارون
بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم عليه السلام وقال
الفضيل بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده
الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل
ابن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في
نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك
وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غربا
اصحاب قوت وعباه وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما
في الدنيا الا مرة بت ليلة في بعض مساجد الشام وكان بي
البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل
ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك الا تعرف وما عليك
الا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت
محمودا عند الله فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمة الشهرة
وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو

الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشا كل
فساد فان قلت فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفا
الراشدين وايمة العلما فكيف فاتهم فضيلة الخمول
فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله
من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيها فتنة على
الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف اذا كان
معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم
يتعلقون به فيهلك معهم واما القوي فالاولى ان يعرفه
الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه **بيان ذم حب**
الجاه قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد
والعلو وبين ان الدار الاخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال
تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا
النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا
ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة
الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل
وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة
غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل
المسلم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه انما
هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء **بيان معنى
الجاه وحقيقته** اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا
ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك
القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي
يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما الى
الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وساير حظوظ النفس
فكذلك ذو الجاه هو الذي ملك قلوب الناس اي يقدر
على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه
ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصنا
عات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات
ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات
فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له
وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال

عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل
يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد
ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا
ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب
واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها
وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب الارقاء والعبيد فطالب
الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم
بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك
يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه
انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا
ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح
بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق
بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد
القلوب لنعت من نعوت الكمال فبقدر ما يعتقدون من كماله
تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب يكون قدرته على القلوب
وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا معنى الجاه
وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال

لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيه وكالخدمة والاعانة فانه لا
يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له
مثل العبد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم
والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم
في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب
ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال
في الشخص اما بعلم او بعبادة او بحسن خلق او نسب او ولاية
او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء مما يعتقده الناس كمالا
فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا
لقيام الجاه **بيان سبب** كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا
يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة اعلم ان السبب الذي يقتضي
كون الذهب والفضة وسائر انواع الاموال محبوبا هو بعينه
يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي
ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار وهو انك
تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ومنكح
وملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبة لانها وسيلة الى
المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات وكذلك الجاه لان معنى الجاه

ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة
يتوصل الانسان بها الى سائر اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار
والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض
فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه
على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال ولملك القلوب ترجيح
على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال
ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر
له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب
القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما
الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال اذا وجد كنزا ولم يكن
له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له
فاذا الجاه آلة الى المال فمن ملك الجاه ملك المال ايضا ومن ملك
المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب الثاني هو ان
المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج
فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما
القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة
لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها ايدي النهاب والغصاب واثبت

الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن
المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهي محفوظة بانفسها
وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة نعم انما يغصب
فيها القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق
به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله
فعله الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة
الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت
كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف
ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب
الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار
اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري
من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن
ملك شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة
فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا
اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت
الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت
كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه

جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي
يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى
الملبس والمطعم والمسكن او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا
يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للجاه
والمال معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي
الطباع امر عجيب وراء هذا وحب جمع الاموال وكنز الكنوز نوع
وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى كان
للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا فكذلك يحب الانسان
اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقصى البلاد التي يعلم قطعا انه
قط لا يطأها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليبروه بمالهم او
ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ
به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك
جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول
نعم هذا الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي
يدركه الكافة والاخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما
واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء
وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة

في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول
فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان
وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان
المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك
بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل
بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال جائحة فهذا
ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر
هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال
واستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة
المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى عن الآخر وهذا
خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن
لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه
السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل
هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد
عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن
او يزعج اولياءك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة
بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا

احاله ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم
لما فيه من الامن عن هذا الخوف واما السبب الثاني وهو
الاقوى ان الروح امر رباني وصفه الله تعالى اذ قال
ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه
ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهارها
اذ لم يظهره رسول الله ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان
للقلب ميل الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات
سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر
والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر
وطلب الاستعلاء وذلك انه مركب من اصول مختلفة يطول
شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع
ومعنى الربوبية التوحيد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل
الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية وصار محبوبا
ا في صح بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركة في
الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس انها موجودة وحدها فلو
كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا في حقها اذ لم تكن
منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى

اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه اثر من اثار
قدرته لا قوام له بذاته بل هو قايم به فلم يكن موجودا
معه لان المعيه توجب المساواه في الرتبه والمساواه في
الرتبه نقصان في الكمال بل الكامل من لا ينظر له في رتبته وكما
ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا في الشمس بل
هو من جمله كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى
تساويها في الرتبه مع الاستغنا عنها فكذلك وجود كل ما
في العالم يرجع الى اشراق نور القدره فيكون تابعا ولا يكون معا
فاذن معنى الربوبيه المنفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان
فانه بطبعه يحب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض
مشايخ الصوفيه ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح فرعون من قوله
انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبوديه
قهر على النفس والربوبيه محبوبه بالطبع وذلك للنسبه الربانيه
التي اوما اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس
عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهو محب للكمال
ومشتهي له وملتذ به لذاته لا لمعنى اخر ورا الكمال وكل موجود
فهو محب لذاته والكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم

ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته واما الكمال بعد ان يسلم
المنفرد بالوجود في الاستيلا على كل الموجودات فان اكمل الكمال
ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان يكون مستوليا
عليه فصار الاستيلا على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل
موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به
الا ان الاستيلا على الشي بالقدره على التاثير فيه وعلى تغييره
بحسب الاراده وكونه مسخرا لك تردده كيف تشا فاحب الانسان
ان يكون له الاستيلا على كل الاشيا الموجوده معه الا ان
الموجودات منقسمه الى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله
وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدره الخلق
كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملايكه والجن
والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما لا
يقبل التغير بقدره العبد كالارض واجزايها وما عليها من المعادن
والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابله للتغير
والتاثير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات
الى ما لا يقدر الانسان ان يستولي على السموات بالعلم والاحاطه
والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلا اذ المعلوم المحاط به

كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك احب
ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب
السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلا
عليها والاستيلا نوع كمال وهذا ايضا هي اشتياق من عجز عن
صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع
الشطرنج فانه قد يشتهى ان يعرف اللعبه وانه كيف وضع ولمن
يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذه او جر الثقيل او غيرها
فهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنها لكنه
مشتاق الى معرفه كيفيته فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال
العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر
الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على
التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح الاجساد
الدراهم والدنانير والامتعة فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل
فيها ما يشا من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة
كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك
احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات
نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار

ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم
بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لا تعتقد كماله
حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية
ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثاني نفوس الادميين
وقلوبهم وهي انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له
استيلا وقدرة ليكون مسخره له متصرفه تحت ارادته واشا ته
لما فيه من كمال الاستيلا والتشبه بالصفات الربوبية والقلوب
انما تتسخر بالحب ولا حب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال
محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها
محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي
لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله
فانه محل الايمان والمعرفه وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والسا عي
اليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت
له قدرة واستيلا عليها والقدرة والاستيلا كمال وهو
من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم
والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات
ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا

بسبك والنقصان لا يزول فلذلك قال عليه السلام منهومان
لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة
وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان
ولذته بقدر ما يدركه من الكمال وهذا هو السبب في كون
العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر ورا كونه محبوبا لاجل
التوصل الى قضا الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط
الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به
الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات
ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات
لان في ذلك استيلا على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي
هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب
كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانه **بيان الكمال**
الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال
بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال
الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله
تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات
وسعتها فانه يحيط بجميع المعلومات فلذلك كل ما كانت علوم

العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثاني من حيث تعلق
العلم بالمعلوم على ما هو عليه وكون المعلوم مكشوفا به كشفا
تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه وتعالى باتم
انواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح
واتقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم
كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقا العلم ابد الاباد
بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان
يتغير فلذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير
والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرا ت
وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه
علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد
كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا
فكل ما اعتقدته اعتقادا موافقا له وتصور ان ينقلب
المعتقد فيه عما كان اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك
نقصانا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات
العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبال ومساحة ارض وبعد البلاد
وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك

والممالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير
الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل
الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيها كمال الا في الحال ولا
تبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية
وهي جواز الجائزات ووجوب واستحالة المستحيلات فان
هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا
ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة
في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله
فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات
والارض وترتب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال
الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا
للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى
كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز
ان يصير ذلك سببا لزيادة النور لسراج اخر مقتبس منها فيكمل
النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل
السراج لا مطمع له في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى
لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج

يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور

منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا في معرفة
الله واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة لها
اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة
في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير
والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير
القران ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القران من كيفية
العبادات والاعمال التي يفيد تزكية النفس ومعرفة طريق
تزكية النفس تفيد في استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة
الله تعالى كما قال قد افلح من زكاها وقال عز وجل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف
كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة
الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة
بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من
حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة
فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه
وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء

رف

اقسام الكمال واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل
للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة
الحقيقية لله عز وجل وما احدث من الاشيا عقيب ارادته
وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه
في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى
من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله
الى الله فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة
بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة
اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك
فان هذه القوى آلة للوصول به الى كمال العلم وهو يحتاج
في استيفا هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل
به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم
يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه الا من حيث
اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا جهل
والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان
القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة
الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا

ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتها لكوا
عليه ونسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى
ومن ملايكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه
واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا
والاستيلا عليها بالقهر تشبها بالملايكة الذين لا تستفزهم
الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان رفع اثار الغضب والشهوة
عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملايكة ومن صفات
الكمال لله استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتا ثر
بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملايكة اشبه
ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم
والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع
الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم
صفة كاينة وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي صفات
الكمال للذات فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير
بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية
واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنياوية
والقدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا

طرق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته
على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان
تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى
كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر
كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان
فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو
الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقا له واعرضوا عن كمال
الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له
وهولاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا جرم
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم
يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والبا
قيات الصالحات خير عند ربك والعلم والحرية هي الباقيات
الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي
ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال
انما الحياة الدنيا كماء انزلناه من السما فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح فكلما تذروه رياح
الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه فهي

الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة
بالجاه والمال كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت
على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما
الى الكمال الحقيقي **بيان ما يحمد من حب الجاه** وما يذم مهما
عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها
حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الدنيا وينقطع بالموت
كالمال والدنيا مزرعة الاخرة فكلما خلق في الدنيا فيمكن
ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم
والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق
والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى
خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم
الاشرار فحبه لان يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى
الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاده من المحل
ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه
لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع
الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال

فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا يفضي الى ان يكون المال والجاه
في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون
في داره بيت ما لانه يضطر اليه لقضا حاجته ويود لو استغنى
عن قضا الحاجة حتى يستغني عن بيت الما وهذا على التحقيق
ليس بحب لبيت الما فكل ما يراد للتوسل الى محبوب فالمحبوب
المقصود المتوسل اليه وندرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل
قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما
يدفع ببيت الما فضلة الطعام ولو كفي موونة الشهوة لكان
يهجر زوجته كما انه لو كفي قضا الحاجة لكان لا يدخل بيت الما
ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي
الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها وهذا الحب هو دون الاول
فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين
فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما
لاعيانهما فيما جاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا
يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة
معصية وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب
محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه

والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى
الريا المحظور كما سياتي فان قلت طلب الجاه والمنزلة في
قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به
امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او مباح الى حد مخصوص
وعلى وجه مخصوص فاقول تطلب ذلك على ثلاثة اوجه وجهان
منه مباح ووجه منه محظور اما الوجه المحظور فهو ان
يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة فهو منفك عنها مثل
العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه علوي او عالم او ورع ولا
يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما
بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف
بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني
حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان
محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفا عيب من
عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته
به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز
هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد
لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه

يشرب الخمر ولا يلقى الله انه ورع فان قوله اى ورع ملبّس
وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم
بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسّن الصلاة بين يديه ليحسّن
به اعتقاده فان ذلك ريا وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من
المخلصين الخاشعين لله وهو مراى بما يفعله فكيف يكون مخلصا
فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى
مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره
بتلبيس فى عوض او غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير
وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال **بيان**
السبب فى حب المدح والثنا وارتياح النفس به وميل الطباع
اليه وبغضها للذم ونفرتها منه اعلم ان حب المدح والتلذذ
القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال
فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما
شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح
يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لا يخلو
اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا
ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه

عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن
النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعره لم يخل حدوث
الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق
اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثنا عليه بكمال العلم
وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون
شاكا فى كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا
الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير
فى هذه الامور وتطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك
طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما
تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات
خبير به لا يجازف فى القول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ
بثنا استاذه عليه بالكياسة والذكا وغزارة الفضل فانه فى
غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام او لا يكون بصيرا فى
ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ويكرهه
لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو
ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم
من بصير موثوق به كما ذكرنا فى المدح السبب الثانى ان المدح

يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد
فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله
لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا ممن تتسع قدرته
ويتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر وتضعف مهما كان المثنى
ممن لا يوبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة
على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة
يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته
اعظم لان الفايت به اعظم السبب الثالث ان ثنا المثني ومدح
المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك
ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنايه وهذا يختص بثنا يقع على الملاء
فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله
كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح
يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثنا
عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر
والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن
ما مدح به ولكنه مضطر الى ذكره نوع قهر واستيلا عليه فلا جرم
تكون لذته بقدر منع المادح وقوته فيكون لذة ثنا القوي الممتنع عن

عن التواضع بالثنا اشد وهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع
في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد يفترق فينقص اللذة
به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم
الممدوح انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه سخي او عالم
بعلم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك
فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال ويبقى لذة
الاستيلا على قلبه وعلى لسانه وبقيه اللذات فان كان يعلم ان
المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت
اللذة الثانية وهو استيلاوه على قلبه وبقي لذة الاستيلاء
والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثنا فان لم يكن ذلك عن
خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة
لفوات الاسباب الثلثة وهذا ما يكشف الغطا عن علة التذاذ
النفس بالممدوح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج
لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن
معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض بيان علاج
حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على
مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمرايا لاجلهم ولا يزال في

اقواله وافعاله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر
النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في
العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى
اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال
عليه السلام انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق
هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة
في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال
حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من
المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب
عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما
العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال
القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك
ان صفى وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد
لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة
لا يبقى الساجد والمسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك
من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك له الدين

الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال
الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك
انما يصغر في عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة
ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري
حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت
قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال
عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن
وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء التفاتهم الى العاقبة وكان عملهم لها
بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا المال والجاه
في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا
يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون
الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه
بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها
ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء
وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب
والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مرددة بين الاقبال

والاعراض فكل ما بنى على قلوب الخلق يضاهى ما بنى على امواج
البحر فانه لا ثبات له فالاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه
ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعدا كل يوم غموم عاجلة ولذة
الجاه فلا تفى ايضا بما يرجوها ويخوفها فضلا عما يفوت فى الاخرة فبهذا
ينبغى ان يعالج ذو البصيرة الضعيفة واما من حيث العمل فاسقاط
الجاه عن قلوب الجاه بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من عين
الخلق ويفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع
بالقبول من الخالق وهذا هو منهج الملامتيه اذا اقتحموا الفواحش
فى صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من افة الجاه
وهذا غير جاير لمن يقتدى به فانه يوهن الدين فى قلوب المسلمين
واما الذى لا يقتدى به فلا يجوز ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له
ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى ان بعض
الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا
واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه
وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى ومنهم من شرب شرابا
حلالا فى قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه شرب الخمر فيسقط عن
الاعين وهذا فى جواز نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال يعالجون

وربما رتفعت بعضهم وقوى بما اسلفت
الى الله ... العلاج من جهة العلم

انفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم
يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم
فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب
غيره وخرج ووقف على الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه
واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق
فى قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان
المعتزل فى بيته فى البلد الذى هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة
التى ترسخ له فى القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك
الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها
ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لايق
به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك
واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج فى ازالة ذلك عن
قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالى به وبه يتبين انه بعد محبا للجاه
والمنزله ومن احب الجاه والمنزله فهو كمن احب المال بل هو شر
منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزله فى قلوب
الناس ما دام يطمع فى الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة
اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل

لـ

ولا يبالي الا كان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي ذلك في
الذين هم منه في اقصى الشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا
يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس
واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في
القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع
ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح
الخمول والذل مثل قوله المؤمن لا يخلو من ذلة او قلة او علة
وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب
الآخرة **بيان وجه العلاج** لحب المدح وكراهة الذم اعلم ان
اكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصار
حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا من
الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة
الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم اما السبب الاول
فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع
الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت
متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق الفرح
كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض

الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح
بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح
وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي
ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب
وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع
فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح
لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة
شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار
فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان
يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان
اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح
والمدح تابع له فلم ينبغي ان يفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا
وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها ففرحك بالمدح
غاية الجنون ومثالك مثال من يهزا به انسان ويقول سبحان الله ما
اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا

قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه امعاه من الاقذار والانتان ثم يفرح فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايث باطنك وغوايل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي فضل من الله تعالى عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخر قلب المادح وكونه سببا لتسخر قلب آخر وهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله تعالى وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك من السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل نعم الرجل انت وكان احب اليك من ان يقال بيس الرجل انت فانت والله بيس الرجل

وروي في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال عليه السلام مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال لهم الا لا تمادحوا فان رايتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور حتى ان بعض الخلفا الراشدين سال رجلا عن شي فقال انت يا امير المومنين خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك يتقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله وثنايه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق

وهم يتقون عن الالتفات الى الخلق وان اشتغال
[illegible]

بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح
واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان** كراهية الذم قد سبق علاج صح
ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه
ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة
احوال اما ان يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة
واما ان يكون صادقا ولكن قصد الايذا والتعنت او يكون كاذبا فان
كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي
ان تتقلد منه فان من اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلك
حتى تتقيه فينبغي ان تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة
عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك
له وذمك اياه غاية الجهل فان كان قصد التعنت فانت قد انتفعت
بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او ذكرك عيبك ان
كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت
قد استحسنته وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته
منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته
من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة
طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع

وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت ان يجز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل ايها الملوث بالعذرة

مساوى الاخلاق مهلكة في الاخرة والانسان انما يعرفها من
قول اعدائه فينبغي ان تغتنمه فاما قصد العدو والتعنت فجناية
منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل
انتفعت انت به وتضرر هو الحالة الثالثة ان يفتري عليك بما
انت بري منه عند الله فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه
بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا
تخلو عن امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ
لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت بري عنه والثاني
ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك وكانه رماك بعيب
انت بري منه وطهرك عن ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك
فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما لك
تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت
تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين جنى على
دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه
الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله تعالى عليه فتشمت
الشيطان به وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه
اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال عليه السلام اللهم اغفر لقومي

فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه
بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون معاقبا
بسببي ومما يهون عليه كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت
عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها
ينقطع الطمع عن الجاه والمال ومادام الطمع قايما كان حب الجاه
والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة
في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع
طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان
ذلك بعيد جدا **بيان اختلاف احوال الناس** في الذم والمدح
اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى
ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام
ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات
المعصية في هذا الباب الحالة الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام
ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح
للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان
الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات
الكمال ان يستوي ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة

وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا ان لم يمتحن
نفسه بعلاماته وعلامته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام
عند تطويله الجلوس عنده اكثر مما يجده في المادح وان لا يجد في
نفسه زيادة هزة ونشاط في قضى حوايج المادح فوق ما يجده في
قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه
من انقطاع المادح وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية
في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله
من اعدايه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح
اخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما
خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد
ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس
مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه
العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان
يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع
الله بمدحك فكيف تسوي بينهما وانما استثقالك الذام من الدين
المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من
ارتكب من كباير المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا

يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن
مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة
نفسه فالمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم
او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم
الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيد
ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس
فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة
وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ٥
الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح
اذ يعلم انه فتنة عليه قاصم للظهر مضر له في الدين ويحب الذام
اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته
وقد قال عليه السلام راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى
وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم للظهور امثالنا ان صح
اذ روي انه عليه السلام قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب من صح
الصوف الا فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن
الدنيا وابغض المدحة واحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا

الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام
والمادح ولا يظهرها بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهو
التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيه ثم ان طالبنا
انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لا بد
وان تتسارع الى اكرام المادح وقضا حاجاته وتتثاقل عن اكرام
الذام والثنا عليه وقضا حوايجه ولا يقدر على ان يسوي
بينهما في الفعل الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة القلب ومن
قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير
بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر
يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحد من
هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان
من الناس من يتمنى المدحة والثنا وانتشار الصيت فيتوصل الى
نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح فهذا من
الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبها بالمباحات ولا يطلبها بالعبا دات
ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام
الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها

فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد وهو قريب من الهالكين
جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح
سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف
الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى المرتبة التي قبلها
فان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور
عليه بالتفكر في افات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون
اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم
ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص
ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على
المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب
وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك
عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس
عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام
واول درجاته اظهار الغضب واخره اظهار الفرح ولا يكون
الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها
عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة
فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص

عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد
فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي من
نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس
حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها
فعساه يكون جبرا للعيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد
المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي
عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره
وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات
ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات
وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به
وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل
من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة
في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان
ترك الطاعات خوفا من الرياء والافات وبيان ما يصح من نشاط
العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد
ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول **بيان ذم**

الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهد
لذلك الايات والاخبار والاثار اما الايات فقوله تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن
وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر
اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى
انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح وجه صح
المتصدقين بنفي كل ارادة سوى الله والرياء هو ضده
وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يطلب الاجر والحمد
بعباداته واعماله واما الاخبار فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم حين سأله رجل وقال يا رسول الله فيم النجاة
فقال الا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى
ابو هريرة في حديث الثلثة المقتول في سبيل الله تعالى
والمتصدق والقاري لكتابه كما اوردناه في كتاب الاخلاص
وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال
فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت
ان يقال فلان قاري فاخبر عليه السلام انهم لم يثابوا وان

ريائهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي عليه
السلام من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي
حديث طويل ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يرد بعمله فاجعلوه
في سجين وقال عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة
اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا
فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلام استعيذوا وا
بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في
جهنم اعد للقراء المرائين وقال عليه السلام من عمل عملا
اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا اغنى الاغنياء
عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم
فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم
واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه
فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا عليه السلام لا
يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من الرياء وقال عمر لمعاذ بن جبل
حين راه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر
يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال

عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوة الخفية
وهي ايضا ترجع الى خفا ما الريا ودقايقه وقال عليه السلام
ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بيمينه وكاد ان
يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر
سبعين ضعفا وقال النبي عليه السلام ان المراي ينادي يوم القيمة
يا فاجر يا غادر يا مراي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ
اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي عليه
السلام يبكي فقلت ما يبكيك فقال اني تخوفت على امتي الشرك
اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم
يراون باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق
الله تعالى الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها اوتاد
الارض فقالت الملايكه ما خلق ربنا خلقا اشد من الجبال فخلق
الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر
الله الما باطفا النار وامر الريح فركدت الما فاختلفت الملايكة
فقالت نسئل الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من
خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيا هو اشد من ابن ادم حين
يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله وهذا اشد خلق خلقته

وروي عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال
لمعاذ حدثني حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت له لبيك بابي انت وامي
قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت
ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة
يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات
والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سما من السبع ملكا
بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين
اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء
الدنيا ذكرته وكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل
ب وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب
الناس يجاوزني الى غيري قال ثم ياتي الحفظة بعمل صالح من اعمال
العبد فيمر فتزكيه وتكثره حتى يبلغ الى السماء الثانية فيقول
لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه
اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى
غيري انه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة

بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة
فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل
بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر
امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في
مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب
الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به الى
السما الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا
العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملاً ادخل العجب في عمله
قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به الى السما الخامسة
كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك
الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من
كان ياخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي
ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل
العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى
السما السادسة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا

العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انساناً قط من عباد
الله اصابه بلا او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة
أمرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة
بعمل العبد الى السما السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد
وورع لها دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه الف
ملك فيجاوزون به الى السما السابعة فيقول لهم الملك
الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا
به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد
به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء
وذكراً عند العلماء وصوتاً في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو ريا ولا يقبل
الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكوة
وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله وتشيعه
ملايكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون
بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله
عز وجل لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه
انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول

الملئكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها
عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن
قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد
بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة
في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم
ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا
في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك
ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع
عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم
القيمة قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هن يا
معاذ قلت ما هن بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط العظم
واللحم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها
قال يا معاذ انه على من يسره الله عليه ليسير واما الاثار
يروى ان عمر رضي الله عنه راى رجلا يطاطي رقبته فقال يا
صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع
في القلوب وروى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده
فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه

للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في
الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال
رجل لعبادة بن الصامت اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد به
وجه الله ومحمدة قال لا شيء لك فسأله ثلث مرات كل ذلك
يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء
عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد بن المسيب فقال احدنا
يصنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال
لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن
احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم فان الله
تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني
فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان
تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده
قال فنعم اذا وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم
لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه
منها الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة
اسما يا مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له
فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل يراءون ولا يعملون وصار (كانوا)

اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على
نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن
المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول
الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديآء
فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد
يقول الله انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار
القرآء ثلثة قرآء الدنيا وقرآء الملوك وقرآء الرحمن وان محمد بن واسع
من قرآء الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مرائي فلينظر
الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف
من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل
لرب العالمين وقال ابو سليمن التوقي على العمل اشد من العمل
قال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان
قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم
ابن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة الرياء**
وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة
من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم
خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة يطلب في القلب باعمال سوى

العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم
العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها فحد
الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمراءى
هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمراءى به
هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار
ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين
العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع
والاشيآء الخارجة ولذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب
الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات
اهون من الرياء بالطاعات **الاول** الرياء في الدين من جهة البدن
وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد
وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على
قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين
وكذلك يراءى بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم في الدين
وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل
الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو
النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت

واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه
مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او
ضعف الجوع الذي ضعف قوته وعن هذا قال عيسى عليه السلام
اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك
روي عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان
بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين فهذه
مراياة اهل الدين بالبدن فاما اهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن
وصفا اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة
الاعضاء وتناسبها الثاني الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث
شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة
وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها
الى قريب من الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه
مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة فيه ومقتد
فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلاة على السجادة
ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقايق
التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به
انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين

بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان
يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن
بالزي على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح
باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة
ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا
وسطا نظيفا مما كان السلف تلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح
وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك
الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند
اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثيا ب
الفاخرة ردهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقة النازلة ازدرته
اعين الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا
فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرفيعة والمرقعات ت
المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثوبهم قيمة ثوب
الاغنيا ولونه وهيئته لون ثياب الصلحا ليلتمسون القبول عند
الفريقين وهؤلا لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم
كالذبح خوفا من السقوط عن عين الملوك والاغنيا ولو كلفوا لبس الد بيقى
والكتان الابيض والقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم

لتعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا
وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال
الى ما دونه او الى ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما
اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع
التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول
وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس
فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس
على تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الريا بالقول
وريا اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار
والاثار لاجل الاستعمال في المحاوره اظهارا لغزاره العلم ودلالة
على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق
واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس
المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران
ليدل ذلك على الحزن والخوف وادعا حفظ الحديث ولقا الشيوخ
والدق على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير
بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار

الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته
في علم الدين والريا بالقول كثير وانواعه لا تنحصر واما اهل
الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح
في العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل
واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع الريا بالعمل
كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع
واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية
القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة
وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخا الجفون والمشي
وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع الى
حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطرا ق
الراس خوفا من ان ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل
عاد الى عجلته فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله
حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى
ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحا ومنهم من اذا سمع هذا
استحى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراى من الناس
فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس

لم تفتقر الى الغير ويظن انه تخلص عن الرياء وقد تضاعف به
رياءه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما حسن مشيته
في الخلوة ليكون كذلك في الملاء لا لخوف من الله وحياء منه
واما اهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين
وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا
بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراءاة بالاصحاب والزائرين
والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال
ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال ان اهل الدين
يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من
العمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في
الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة
واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه
عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من المشايخ وانا قد لقيت
فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه
فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة
في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من
راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل

مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب
الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته
لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد
لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه
قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما
ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان
سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس الجهال
ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق
اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد
لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل
شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له به جاه عند العامة
ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من
الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات
المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء
وما به يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه
تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو
اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات

فهو لطلب المال فلا تحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد
ولكن كما ان كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك
الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان
محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الافات محمود
وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم
وكما ان المال فيه سم نافع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان
كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الاخرة فكذلك كثير
الجاه بل اشد ففتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا
نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة
حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز
نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم
الى كثرة المال ولا تقدر محب الجاه والمال على ترك المعاصي
القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على
طلبه ومن غير اغتمام [illegible] والدار الا ضرر فيه فلا جاه اوسع من
جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين
ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في
الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه

الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وليس بحرام لانه ليس
رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل الناس وتزين
والدليل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اراد ان يخرج على الصحابة وكان ينظر في حب الما ويسوي عمامته
وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من
العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول
الله عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع ع
واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان
يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم
فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وكان ذلك
قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد ان يحسن
نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم
واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم
المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه لم يانس
بهم فاذا المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون
طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك
نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض العبادة

والصدقه ولكن ليعتقد انه سخي وهذا مراياة وليس بحرام
وكذلك امثاله، اما العبادات كالصدقه والصلاه والغزو
والحج فللمرائي فيه حالتان احدهما ان لا يكون له قصد الا الريا المحض
دون الاجر وهذا تبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا
ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عمله حتى نقول صار
كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دل عليه الاخبار
والايات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس
في امر الدنيا ايضا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به من التلبيس وتملك القلوب
بالخداع والمكر، والثاني يتعلق بالله وهو انه متى قصد بعبادة
الله خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد
قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يمثل
بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما
وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان
هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل
قصد بذلك عبدا من عباده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد
بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا

ولا كلام ان حصل الالم بانه عاص مطلقا لله
وانه من اهل الدين ليس كذلك والتلبيس

وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه
من الله تعالى وانه اولى بالتقرب من الله تعالى اذ اثره على
ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد
على رفع العبد فوق المولى وهذا من كبائر المهلكات ولهذا
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم
بعض درجات الريا اشد من بعض كما سياتي درجات الريا ولا
يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراياة
ولو لم يكن في الريا الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية
فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري
لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو
الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة
ان يسجد ويركع وكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه
ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان
ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من
عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله ففي هذا كان
شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه
الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه

وضرره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله
فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل
بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخره لكان ذلك
اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا
فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيا بل يقول الانبياء فيه
نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب
عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس
فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث
النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد
الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشركه التي تناقض
الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل عليه
ما نقلناه في الاثار من قول سعيد بن المسيب وعباده بن الصامت
انه لا اجر فيه اصلا **بيان درجات الريا** اعلم ان بعض ابواب
الريا اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت
الدرجات فيه واركانه ثلاثه المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد
الرياء **الركن الاول** نفس قصد الريا وذلك لا يخلو اما ان يكون

مجردا دون اراده الله والثواب واما ان يكون مع اراده
الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون اراده الثوا ب
اقوى او اضعف او مساويا لاراده العباد فيكون الدرجات
اربعا الدرجه الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب
اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل
ربما يصلي من غير طهاره مع الناس وهذا جرد قصده الى
الريا فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا
من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما
اداه فهذه في الدرجة العليا من الريا الثانية ان يكون له
قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة
لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب
لكان قصد الريا يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شا بلد
قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم
الثالثة ان يكون قصد الثواب وقصد الريا متساويين بحيث لو كان
كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت
الرغبه او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد
افسد مثلما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون

له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على
انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان
يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان
لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي
نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص
منه او يعذب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد
الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول
على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح

الركن الثاني

المراءا به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول
العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو اغلظ
الرياء بالاصول وهي على ثلث درجات الدرجة الاولى الرياء
باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار
وهو الذي يظهر كلمة الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب
ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه
في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن

الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما
في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض الاية
وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا
قليلا والايات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام
ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل في زما ننا
ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار
والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام
ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه
فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا
رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا
بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية الرياء باصول العبادات
مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه
دون الاول ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج
الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم لو كان في يده لما اخرجها او يدخل
وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك
يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر

الجمعة ولولا مذمة الخلق لكان لا يحضرها او يصلي وحده وبر والديه
لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او بغزو ويحج لذلك فهذا
مرائي معه اصل الايمان يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف
ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات
للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب
اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه
من عقاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله
وهذا غاية الجهل وما احذر صاحبه بالمقت وان كان غير منسلخ اصلي
عن الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا
بالفرايض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي
ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار
لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الريا على فعله وكذلك
حضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة
وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشورا
ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من
المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله منه انه لو خلي بنفسه لما زاد على
اداء الفرايض فهذا ايضا عظيم دون ما قبله فان الذي قبله اثر

حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى
ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده
من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على
ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه
نصف عقابه وهذه هي الريا باصول العبادات

القسم الثاني

الريا باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات
الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي
عزمه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راه النا-س
احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجد-تين
وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها
ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع
عليه آدمي احسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكئا
فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام
على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي
بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج
الزكاة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره
اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصايم يصون صومه

عن الغيبة والرؤية كما لا لعبادة الصوم وهذا ايضا من الريا
المحظور لان فيه تعظيما للمخلوق على الخالق ولكنه دون الريا
باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة
لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا التخفيف الركوع والسجود
وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم
عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس
وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهذه خدمة
منك لمولاك اعظم من ضررك غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين
لكان شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة
الى ملك لينال منه ولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة
مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده فاذا كان
عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل
يراعي جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمرائي
فيه حالتان احدهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس
وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في
تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة
واذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع

مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان ترك تحسين
الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة وهذا فيه ادنى
نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية
فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة
بطاعة الله فان ذلك استهزا كما سبق الدرجة الثالثة ان يرائي
بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة
لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة
في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال
والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة
في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في
الصلاة والزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك
مما لو خلا ونفسه كان لا يقدم عليه الثالث ان يرائي بزيادات
خارجة من نفس النوافل ايضا لحضور الجماعة قبل القوم وقصد
الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما
يعلم الله انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلوة
فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يترائى به وبعضه اشد من بعض
والكل مذموم **الركن الثالث** المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة

فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله
ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون
مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى
والورع بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان
يعرف بالامانة فيولى القضاء والاوقاف والوصايا او مال الايتام
فياخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر
عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال
التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع
الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد
يظهر بعضهم زي الصوفية وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل
الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور
وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون
الرغبة في سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان
او يخرج الى الحج وغرضه ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة
او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة
ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في
فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة

اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر
التقوى لينفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس به فيتصدق
بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك
ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع
واظهار التقوى الرتبة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ ظ
الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكا
ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه
النسا فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة
وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عابد عالم فيظهر له العلم والعبادة
ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه يطلب بطاعة الله
متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه
الرتبة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر
عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد د
ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن
المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل
الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدر منه المزاح فيخاف ان
ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء

والحزن ويقول ما اعظم غفلة الادمى عن نفسه والله تعالى يعلم
منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر
اليه بعين التوقير وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون
او يصومون الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان
ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا
منه وكالذى يعطش في يوم عرفة او عاشورا او في الاشهر الحرم
فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع يغيرهم
عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صايم وقد لا
يصرح باني صايم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى انه
صايم ثم يرى انه مخلص ليس بمراى وانه يحترز من ان يذكر عبادته
للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعباداته ثم ان اضطر
الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا
بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت
تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن
انه يعتذر ريا ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا
مثل ان يقول فلان محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان

من طعامه وقد الح على اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل
ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما
مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الريا
فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الريا في الباطن اما المخلص
فلا يبالي كيف ما نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد
علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون
ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتدا غيره به وتحريك
رغبة فيه وفيه مكيدة وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه
فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت
مقت الله وغضبه وهي من اشد المهلكات وان من شدته ان
فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه
فحول العلما فضلا من العباد الجهلة بافات النفوس وغوايل
القلوب **بيان الريا الخفي** الذي هو اخفى من دبيب النمل اعلم
ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه
ولو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على
العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله كالذي

يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان
نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجا الثواب لكان لا
يصلي لمجرد رؤيا الضيفان واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل
ولا بالتسهيل والتخفيف ايضاً ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب
ومهما لم يوثر في الدعا الى العمل لم يمكن يعرف الا بالعلامات واجلى
علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد مخلص في
عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن
اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك على قلبه
شدة العبادة وهذا السرور يدل على ريا خفي يترشح منه السرور
ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع
الناس فلقد كان الريا مستكنا في القلب استكنان النار
في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا
استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك
قوتا وغذا للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك على نفسه حركة خفية
فيتقاضا تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض
والقا الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفي فلا
يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمايل كالاظهار

النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق
وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى
ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته
ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبدوه بالسلام وان
يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا
في قضا حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له المكان
فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا
في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها
مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان
يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة
كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا
عن شوب خفي من الريا الذي هو اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك
ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي
الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقرا يوم القيمة الم يكن يرخص
عليكم السعر الم تكونوا تبتدون بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوايج وفي الحديث
لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك
روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا

الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا
في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم
ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب
ان يقضى لمكان دينه وان اشترى شيا احب ان يرخص عليه لمكان
دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل
والجبل قد امتلا بالناس فقال السايح ما هذا قيل هذا
الملك قد اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت
وقلوب الشجر فجعل يحشو اشدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال
الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي
حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا خير فانصرف عنه فقال
السايح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم تزل المخلصون
خايفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس
عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفايها اعظم مما يحرص الناس
على اخفا فواحشهم كل ذلك رجا ان يخلص عملهم فيجازيهم
الله في القيمة باخلاصهم على ملاء من الخلق اذ علموا ان الله
لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم
في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي

والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل
واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله
اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب
المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف
والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم
يحاميه فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب
القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزود به له من التقوى فاذا
شوايب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك النفس تفرقة
بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الريا
فانه لما قطع طمعه عن البهايم لم يبال حضره البهايم والصبيان
الرضع او كانوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا
قانعا بعلم الله لاستحقر عقلا العباد كما استحقر صبيانهم ومجا
نينهم وعلم ان العقلا لا يقدرون له على رزق واصل وزيادة
ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهايم والصبيان والمجا
نين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب
محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا
ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او

بعضه محمود فنقول اولاً كل سرور فليس بمذموم بل السرور
منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان
يكون قصده اخفا الطاعة والاخلاص لله تعالى ولكن لما
اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من
احواله فيستدل به على حسن صنع الله تعالى به ونظره له
والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله تعالى يستر
عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح
واظهر الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا لحمد الناس وقيام
المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا وكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به الثاني
ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا انه
كذلك يفعله في الاخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال
من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل
والثالث ان يظن رغبة المطلعين على الاقتدآء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما ظهر آخراً
واجر السر بما قصده اولاً ومن اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال
المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شي وتوقع ذلك جدير بان

يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور
لا محالة والرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح
بطاعتهم لله في مدحهم وحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة
اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده
او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الريآء ولا يحمده عليه فهذا
فرح محمود واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام م
منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضا
حوائجه ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده وهذا
مكروه **بيان ما يحبط العمل** من الريآء الخفي والجلي وما
لا يحبط فنقول اذا اعقد العبد العباده على الاخلاص ثم
ورد وارد الريا فلا يخلوا اما ان يرد عليه بعد فراغه من العمل
او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من
غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلا ص
سالما عن الريآء فما يطرا بعده فنرجوا ان لا ينعطف عليه اثره
لا سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن
ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله تعالى ولم يكن
منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل

على الاخلاص من غير عقد ريا ولكن ظهرت له بعده رغبة
في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار
والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي عن ابن مسعود انه
سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل
قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال ما صمت ولا افطرت
فقال بعضهم قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة
صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند
العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث
به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس
ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراياته بطاعة
الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير عقده الى الريا قبل
الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل
واما اذا ورد وارد الريا من الصلاة مثلا وكان قد عقد على
الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الريا فلا يخلو اما ان يكون
مجرد سرور لا يوثر في العمل واما ان يكون ريا باعثا على العمل

فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره
ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت نظارة او حضر ملك من
الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيا نسيه من ماله
وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها
خوفا من مذمة فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة
وقد قال عليه السلام العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب
اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راى بعمله ساعة حبط عمله
الذي كان قبله وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على
الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه منفرد فما يطرا يفسد
الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة فاما اذا كان
وارد الريا بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو
حضر جماعة في اثنا صلاته ففرح بحضورهم فانعقد الريا
وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان
يتمها ايضا فهذا ريا قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات
فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار
قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد العبادة مهما
مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة

عند الاحرام بشرط ان لا يبطل ما يغلبها ويغمرها ويحتمل
ان يقال لا تفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقا قصد
اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد
ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر اهون منه وقال اذا
لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو لحب المنزلة
والجاه قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة الى انه
حبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى قلوب المخلوقين ولم
يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه
بالحبط وان لم يتزيد العمل ولا امر عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف
فالاغلب على قلبي انه حبط اذا ختم عمله بالريا ثم قال فان قيل
قد قال الحسن انما هي سورتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية
وقد روي ان رجلا قال لرسول الله يا رسول الله اسر العمل لا احب
ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر
العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن اراد بقوله
لا تضره اي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله عز وجل
ولم يقل اذا اعتقد الريا بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث
فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها

انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث
انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسره لاقتدا الناس
به او لسرور اخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب
حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من
الامة الى ان السرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف
يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي
الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل الاكثر يقفه على
ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة اولى
هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس
عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا
من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد
العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة
على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التي وردت في الريا
فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة
فهو محمول على ما اذا كان قصد الريا مساويا لقصد الثواب او
اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية
ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلاة ولا يبعد

ان يقال ان الذي وجب عليه صلاة خالصة لوجهه والخالص
ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم
عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما
اوردناه الآن فليرجع اليه فصل لحكم الرياء الطارئ بعد عقد
العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث الذي
يقارن حال العقد بان يبتدي الصلاة على قصد الرياء فان تم عليه
حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في
اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيه ثلثة اوجه قالت فرقة
لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة تلزمه
اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة
لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا
وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم
العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتداه بالاخلاص
وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة
عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع
والسجود لا يكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن
به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة فصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس

وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس
الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود
دون الافتتاح اذ الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة
في الصلاة فتبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص
صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية
واولى الاوقات مراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي
يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد
الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد
افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك كمن اذا خلا بنفسه لم يصل
ولما راى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا
كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن
اجابة باعث الدين وهاهنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان
بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة
ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما
ليس فيه تحلل وتحرم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد
عصى باجابة باعث الرياء وله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب
بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلاة

نقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا
او فرضا فان كان نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى
من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع فى قلبه الباعثان ولا يمكن
ان يقال صلاته فاسدة والاقتدا به باطل حتى ان من يصلى
التراويح وتبين من قراين حاله ان قصده الريا باظهار حسن
القراءة ولو اجتمع الناس خلفه وخلا فى البيت وحده لما صلى
فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتدا به وان اقترن
به قصد آخر هو به عاص فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث
مستقلا حتى لو لم يكن باعث الريا لادى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض
لانشا صلاة تطوعا لاجل الريا فهو محل النظر وهو محتمل جدا
يحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يود الواجب
الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل
بنفسه وقد وجد فاقتران غيره لا يمنع سقوط الفرض عنه كما
لو صلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة
فى الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ومسقط للفرض
عن نفسه وتعارض الاحتمال فى تعارض الصلاة اما اذا كان

فاما اذا كان فى غرض الجمع الباعثان وكان ظ
واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما ع

الريا فى المبادرة مثلا دون اصل الصلاة مثل من بادر الصلاة
فى اول الوقت لحضور جماعة ولو خلى لاخر الى وسط الوقت
ولولا الفرض لكان لا يبتدى صلاة لاجل الريا فهذا مما نقطع
بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة
من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من تعيين الوقت وهذا
ابعد عن القدح فى النية هذا فى ريا يكون باعثا على العمل
وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ
اثره الى حيث يوثر فى العمل فبعيد ان يفسد الصلاة وهذا
ما نراه لايقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث
ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه والذين خاضوا فيه وتصرفوا
لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء فى صحة
الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب
وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما
ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله فيه ٥

بيان دواء الريا وطريق معالجة القلب فيه لقد
عرفت مما سبق ان الريا محبط للاعمال وسبب المقت عند الله
وانه من كباير المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمر

عن سائر الحسنات في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفا
الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر
اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز
ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع
بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة وترسخ
ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال
عقله وقد انغرس الريا في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على
قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات
ولا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق
اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع
عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما
يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قلع عروقه واستيصال
اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى
ثلاثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة
والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للريا بهذه الاسباب
وانها الباعثة للمراي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال
النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله الرجل يقاتل

حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب
وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا طلب لذة الجاه
والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد
باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي
العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى
الصفان نزلت الملايكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقا تل
للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع
في الدنيا وقال عمر يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون
قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال عليه السلام من غزا
لا يبغي الا عقالا فله ما نوى وهذا اشارة الى الطمع
وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم
كالبخيل من الاسخيا وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه
يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد
سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا
من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال
ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون
جميع الليل على ركعات معدودة كي لا يذم بالكسل وهو لا يطمع

في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر
على الصبر على الم الذم ولذلك قد يترك السوال عن علم
هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي
العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم وهذه
الامور الثلثة هي التي تحرك المراي الى الريا وعلاجه ما ذكرناه
في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص
الريا وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشي ويرغب فيه لظنه
انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المال فان علم انه
لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه
كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه
فكذلك قطع طريق هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما
عرف العبد مضرة الريا وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم
عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما
وما يتعرض له من العقاب الاليم العظيم والمقت الشديد والخزي
الظاهر حيث ينادي على رؤس الاشهاد يا فاجر يا غاوي يا مراي
اما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقبت
قلوب العباد واستهزيت بطاعة الله وتحببت الى العباد

بالبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت
اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله وطلبت
رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله
فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد
والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط من ثواب
الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان
حسناته لو خلص فاذا فسد بالريا حول الى كفة السيات
فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الريا الا احباط
عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان
مع ذلك ساير حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه
الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين
وقد حط عنهم بسبب الريا ورد الى صف النعال من مراتب
الاوليا هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب
ملاحظة قلوب الخلق فان رضى الناس غاية لا تدرك وكل
ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم
ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا
عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيد

مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو
يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله هو
المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون فيه
ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبه
وان وصل الى المراد لم يخل عن المنه والمهانه فكيف يترك ما عند الله
برجا كاذب وهو فاسد قد يصيب وقد يخطى واذا اصاب
فلا يفي لذته بالم منته ومذلته واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد
ذمهم شيا مما لم يذمه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه
ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنه ولا يبغضه الى الله
ان كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا ان كان ممقوتا عند الله
فالعباد كلهم عجزه لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حياه ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب
وضررها فترت رغبته واقبل على الله قلبه فان العاقل لا
يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما
في باطنه من قصد الريا واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله
عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراي ممقوت عند الله
ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم

له واطلق السنتهم بحمده والثنا عليه مع انه لا كمال في مدحهم
ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين
وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت
ذاك الله لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمده ولا شين الا في
ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن
اهل النار واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود
في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخره ونعيمها المويد والمنازل ز دل
الرفيعه عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحياه مع ما
فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله
قلبه وتخلص من مذلة الريا ومقاساه قلوب الخلق وانعطف
من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح به صدره وينفتح له من لطايف
المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته للخلق واستحقاره
للدنيا واستعظامه للاخره ويسقط محل الخلق عن قلبه وانحل
عنه داعية الريا وتذلل له منهج الخلاص فهذا وما قدمناه
في الشطر الاول هي الادويه العلميه القالعه مغارس الريا دون
واما الدوا العملي فهو ان يعود نفسه اخفا العبادات واغلاق
الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع

قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى
طلب علم غير الله به يروى ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد
ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه
لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا العذر لان
في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دوا للرياء مثل
الاخفا وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة
بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد
ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد
المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح
الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما **المقام الثاني** في دفع العارض منه
في اثنا العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد
نفسه وقطع مغارس الريا من قلبه بالقناعة وقطع الطمع
واسقاط نفسه عن عين المخلوقين واستحقار مدح المخلوق
وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثنا العبادة بل يعارضه بخطرات
الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميله لا ينمحي بالكلية

فلا بد وان تشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر
الريا ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترا دف
على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم ثم
يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة
عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على
تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة
والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في
دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له اطلاع
معرفة الخلق او رجا اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق
علموا او لم يعلموا والله عالم بحالك فاي فايدة في علم غيره فان
هاجت الرغبة الى لذة الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل في
افة الريا وتعرضه للمقت عند الله في القيمة وخيبته في احوج
اوقاته الى اعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة
في الريا فمعرفة افة الريا تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر
لتعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول
والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لا محالة اقواهما
واغلبهما فاذن لا بد في رد الريا من ثلثة امور المعرفة والكراهة

والابا وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم
يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضر المعرفة ولا الكراهة التي
كان الضمير منطويا عليه وانما سبب ذلك امتلا القلب
بخوف الذم وحب الحمد وامتلا الحرص عليه بحيث لا يبقى
متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الريا
وشوم عاقبته اذ لم يبق في القلب موضع خال عن شهوة الحمد
او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب
ويعزم على الحلم عند جريان الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد
به غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر
آفة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملا القلب
وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله
بايعنا رسول الله تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت
فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجرة وذلك لان
القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا
واكثر الشهوات التي تهجم فجاة هكذا تكون اذ تنسي معرفة مضرتها
الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فان
الكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر

الريا الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته
فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال ويسوف
بالتوبة او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم
من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا ريا الخلق وهو يعلم
ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه اوكد اذ قبل
داعي الريا مع علمه بغايلته وكونه مذموما عند الله ولا ينفعه
معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة
ولكن مع ذلك يقبل داعي الريا ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضا فة
الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة
ان تصرف عن الفعل فاذن لا فايدة الا في اجتماع الثلث وهو المعرفة
والكراهة والابا فالابا ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة
وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة
بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما
عند الله وقلة التامل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة
وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة
الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب
الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغصب القلب وتسلبه وتحول

بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب
والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة
الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال
عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره
لحبه ولميله وغير مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين فاعلم
ان الله تعالى لا يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة العبد منع
الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا
ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها
من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله واليوم الاخر
فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف ويدل على ذلك
من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من السماء فتخطفنا
الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال
قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا
الوسواس والكراهة ولا يمكن ان يقال اراد بصريح الايمان
الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء
وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع

ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى
وكذلك يروى عن النبي عليه السلام في حديث ابن عباس
انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة
فقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك
فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته
نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان
ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة
والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب
المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر
من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان الشيطان
ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص
وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته
انصراف عن بعض المباحات مع الله فهو يوجب ذلك نقصانا في
منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء
على اربع مراتب الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر
عليه بان يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان
ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل

عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف
الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق
نقصان في السلوك الرتبة الثانية ان يعرف ان القتال
والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه
ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا
لان ذلك دفعه وان قلت بل يكون في عقد ضميره كراهة
الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا
للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة والرابعة
ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب
الريا فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما
هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفا الصدقة
والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيض الشيطان
ويقمعه ويوجب ياسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل
ابن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك قال والله لاغيظن من
امره قيل من امره قال الشيطان قال اللهم اغفر له اي لاغيظنه
بان ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة
من ان يزيده في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو

العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عن ذلك
خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان
طمع فيك واذا رآك مداما ملك وقلاك وضرب الحارث
المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال
مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به
فايدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع
وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه ودعوه
الى مجلس الضلال فابى فلما عرف اباه شغله بالمجادلة فاشتغل
معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحته وهو غرض الضلال
ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه
فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل واستعجل ففرح منه
الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه
ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه
رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد
في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عادوا عليه مرة اخرى
ان يعاودوا الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من ان يزداد
فايدة باستعجاله فان قلت فالشيطان اذا كان لا يؤمن نزغاته

فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده
ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال
بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثه
اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقويا قد استغنوا
عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا عنه
واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفا
العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم
وان كان مباحا كالخمر والخنزير عندهم واذ خلوا منها بالكلية
لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة
من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل
يقينه ونقص توكله فمن ايقن ان لا شريك لله في تدبيره فلا
يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق وليس اليه امر الا ما
اراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان
يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يعينه عن الحذر وقالت فرقة
من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون
من ان الاقويا استغنوا عن الحذر وخلو قلوبهم عن حب الدنيا
فهو وسيلة الشيطان يكاد غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من

وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل
وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله
واسمايه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من
الخطر ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته وقال النبي عليه السلام انه ليغان على قلبي
مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله
بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله وساير الانبيا فهو مغرور
ولم يومنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحوا
في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله تعالى لهما
ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ومع انه لم
ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له ورا ذلك ما اراد فاذا لم يامن
نبي من الانبيا وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان
فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن
ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى عليه السلم
هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال

تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من
الجنة وقال انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن
منه واخذ الحذر من حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال
بحب الله فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو
كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا اسلحتهم وقال
تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا
لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان
يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز
صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه
يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة
من عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان
التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض
عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك
قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود
وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما امر بالحذر

منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى
التورع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما
اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى
فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله
تعالى ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل
وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد
له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر
علمهم ويظنون ان ما يهجم عليه من الاحوال في بعض الاوقات من
الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه
الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذ حذرنا
الله العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلبنا من ذكره والحذر
منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا
وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال
الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبا ده
وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر
ونجمع بين الامرين ان نسينا ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان

تجردنا للذكر اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء
المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان
ونسي ذكر الله ولا يخفى غلطها وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا
يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشيا على قلبنا وهو منتهى
ضرر العدو ثم يودي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد
الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال
به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يومر بانتظار الشيطان
ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ
جمعت في القلب بين الله وبين الشيطان وبقدر ما يشتغل القلب
بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان
ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من
الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقده وصدقه
وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا
يخطر بباله من الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته
ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والا
شتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل
ينام وهو خايف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه

الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل
مرات قبل اوانه لما اسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل
عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب
هو الذي يقوى على دفع العدو اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله
تعالى قد امات منه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط
ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة
الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره
بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاوا بنور الذكر
حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيره من
الما القذر لينفجر منه الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد
ترك فيه الما القذر والذي يجمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى
قد نزح الما القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من جانب آخر
فيطول تعبه ولا يجف البئر عن الما القذر والبصير هو الذي جعل
لمجرى الماء القذر سدا وملاه بالصافي فاذا جا الما القذر
دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومونة وزيادة تعب ٥
بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات اعلم ان في الاسرار
للاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار

فايدة الاقتدا وترغيب الناس في الخير ولكن فيه افة الريا قال
الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز المسلمين ولكن في
الاظهار ايضا فايدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر
والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتوتوها الفقرا فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما
في نفس العمل والاخر بالتحدث بما عمل **القسم الاول** اظهار
نفس العمل كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيه كما
روي عن الانصاري الذي جا بالصرة فتتابع الناس بالعطية
لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعمل
بها كان له اجرها واجر من اتبعه ويجري ساير الاعمال هذا
المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتدا على
الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم بالخروج فاستعد
وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل
الا ان الغزو في اصله من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة
اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد
يرفع صوته لينبه جيرانه واهله فيقتدى به وكل عمل لا
يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه

واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب
الريا فاما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان
اظهار الصدقة يودي المتصدق عليه ويرغب الناس في
الصدقة فالسر افضل لان الايذا حرام وان لم يكن فيها ايذا فقد
اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية
وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية
لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر ويدل
على ذلك ان الله تعالى امر انبياه باظهار العمل للاقتدا
وخصهم لمنصب النبوة ولا يجوز ان نظن بهم انهم افضل العملين
ويدل عليه قوله له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في
بعض الاحاديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية
سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله
على عمل السر سبعين يوما وهذا وجه للخلاف فيه مهما انفك
القلب عن شوايب الريا وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالين لبتين
فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الريا ومهما
حصلت شايبة الريا لم ينفعه اقتدا غيره وهلك به فلا
خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان

احدهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به جيرانه دون اهل
السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف
هو الذي يقتدى به الناس كافه فغير العالم اذا اظهر بعض
الطاعات ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم
يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فايده فانما يصح الاظهار
بنيه القدوه ممن هو في محل القدوه على من هو في محل الاقتدا
به والثانيه ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الريا
الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتدا وانما شهوته التجمل
بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا
الاقويا المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف
نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله
مثال الغريق الذي يحسن سباحه ضعيفه فنظر الى جماعه غرقى
فرحمهم فاقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق
بالما في الدنيا المه ساعه وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذا بُه
دايم مده مديده وهذه مزله قدم العباد والعلما فانهم يتشبهون
بالاقويا في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط
اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض

على نفسه انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد
آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال
قلبه الى ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه الريا
دون طلب الاجر واقتدا الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد
رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسرا ره
فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الناس
ومراياتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع
والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقل ما
يسلم الاعمال الظاهره فلا ينبغي ان يعدل بالسلامه شيا
والسلامه في الاخفا وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها
امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا

المقام الثاني

ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه
والخطر في هذا اشد لان مونه النطق خفيفه على اللسان
وقد يجري في الحكايه زياده ومبالغه وللنفس لذه في اظهار
الدعاوى عظيمه الا انه لو تطرق اليه الريا لم يوثر في افساد
العباده الماضيه بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون
والحكم فيه ان من قوى قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه

واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو
الاقتدا والرغبة فى الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب
اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب فى الخير
والترغيب فى الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف
الاقويا قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ اسلمت
فحدثت نفسى بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسى بغير ما
هى قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبى صلى الله عليه وسلم
يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضى الله عنه ما ابالى
ما اصبحت على يسر او على عسر لانى لا ادرى ايهما خير لى وقال ابن
مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان
رضى الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ
بايعت النبى عليه السلام وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة
منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها وكان قد قال لغلامه ائتنا
بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغدا وقال ابو سفين لاهله
حين حضره الوفاة لا تبكوا على فانى ما احدثت ذنبا منذ اسلمت
وقال عمر بن عبد العزيز ما قضا الله فى بقضا قط فسرنى ان يكون
قضى لى بغيره وما اصبح لى هوى الا فى مواقع قدر الله وهذا

كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياه اذا صدر
ممن يراى به وهو غاية الترغيب اذا صدر ممن يقتدى به
فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقويا بالشروط التى ذكرنا ها
فلا ينبغى ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على
التشبه والاقتدا بل اظهار المراى للعبادة اذا لم يعلم
الناس انه ريا فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى فكم
من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتدا بمن هو مراى عند الله
تعالى وقد روى انه كان يجتاز الانسان فى سكك البصرة عند
الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران من البيوت فصنف بعضهم
كتابا فى دقايق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه
وكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي
فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياه وان الله يؤيد هذا الدين
بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما ورد فى الاخبار وبعض المرائين
ممن يقتدى به منهم **بيان الرخصة** فى كتمان الذنوب وكراهة
اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل فى الاخلاص
استوا السريرة والعلانية كما قال عمر رضى الله عنه لرجل عليك
بعمل العلانية قال يا امير المومنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع

عليك لم نستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي
ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغايط الا ان
هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب
بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا
سيما ما يختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على
جميع ذلك فارادة العبد لاخفايه عن العبيد ربما يظن انه
محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه
ورع وانه خايف من الله تعالى مع انه ليس كذلك وهذا هو ستر
المرائي واما الصادق الذي لا يرائي له ستر المعاصي ويصح قصده
فيه او يصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول**
ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف
ان يهتك ستره يوم القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر عليه في الدنيا
ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة الايمان والثاني
انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال
عليه السلام من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر
بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما احبه
الله تعالى وهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي

واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم
بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه
ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى وينا
العقل ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة
الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان
الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتاذى
طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم البدن وتالم القلب
بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه
من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على
الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق
في ان يزول عن رويته الخلق فيستوي ذامه ومادحه لعلمه ان
الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك
قليل جدا واكثر الطباع تتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان
ورب تالم بالذم محمود اذا كان الذم من اهل البصيرة في الدين
فانهم شهدا الله تعالى وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه
في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات
الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد

ويشغل عن الطاعة وعن اداء الطاعة ايضا
يشتغل بكونه اخلا الذي يشغله عن الشغل

بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد
ذلك في نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما
كراهيته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر
حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن
يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا او ذما فكم من صابر عن
لذة الحمد لا يصبر على الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا
يولم واما الذم فانه يولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على
الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه
الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن
اطلاع الله تعالى فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان
لمن غمه باطلاع الله وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان
الذام قد عصى الله وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه
لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع
من جهة الطبع السادس ان يستر كيلا يقصد بشر اذا عرف
ذنبه وهذا وراء الم الذم فان الذم مولم من حيث يشعر القلب
بنقصانه وخسته وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر
من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب وله ان يستر ذلك

حذرا منه السابع مجرد الحيا فانه نوع الم وراء الم الذم
والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبى مهما
اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهدت منه
وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا
خير كله وقال عليه السلام الحيا شعبة من الايمان وقال
عليه السلام الحيا لا ياتي الا بخير وقال عليه السلم ان الله
يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي ان يظهر على فسقه الناس
جمع الى الفسق الهتك والوقاحة وفقد الحيا فهو اشد حالا
ممن يستتر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج بالريا ومشتبه به
اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراي انه يستحيي
وان سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس وذلك
كذب بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الريا
وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي
معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو
باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان
غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض ريا ولا لطلب ثواب فله عند ذلك
ثلاثة احوال احدها ان يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى

الحيا وهذا افعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او
يقرض فان اعطا فيتصور له ثلثة احوال ان يمزج الريا بالحيا
بان يهيج الحيا فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي
ان يعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخا او ينبغي ان
يعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى
بالريا وكان المحرك للريا هو هيجان الحيا الثاني ان يتعذر
عليه الرد بالحيا ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء
فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض
بثمانية عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق
وذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالعطا لذلك وهذا
مخلص هيج الحيا اخلاصه الثالث ان لا يكون له رغبة في
الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة
لكان لا يعطيه فاعطاه لمحض الحيا وهو ما يجده من قلبه من الم
الحيا ولولا الحيا لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب
او الارذال لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا
مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في القبايح والبخل ومفارقة الذنوب
والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى مستعجلا في

المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض
ويزعم ان ذلك حيا وهو عين الريا وقد قيل ان بعض الحيا
ضعف وهو صحيح والمراد به الحيا مما ليس بقبيح كالحيا
من وعظ الناس وامامة الصلاة وهو في النساء والصبيان
محمود وفي العقلا غير محمود وقد يشاهد معصية من شيخ
فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال
ذي الشيبة المسلم وهذا الحيا حسن واحسن منه ان يستحيي
من الله تعالى فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحيا من
الله على الحيا من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه
هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبايح والذنوب ٥
الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره وهذه
العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة
ويختص ذلك بالايمة او بمن يقتدى به ولهذه العلة ينبغي
ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون
منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار
الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية
ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك

باظهار الطاعه فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد
الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل
للنبي عليه السلام دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس
قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام
يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد
يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان يحب ذلك ليعرف
به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده
والمذموم ان يحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك
وعلى طاعه بعينها فان ذلك طلب عرض على طاعة الله
عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان يحب ان يحبوك لصفات
محموده سوى الطاعات المحموده المعينة فحبك ذلك كحبك
المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال
فلا فرق بينهما **بيان ترك الطاعات** خوفا من الرياء ودخول
الافات اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون
مرائيا به وذلك غلط وموافقه للشيطان بل الحق فيما يترك
من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات
تنقسم الى ما لا لذه في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو

فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذه من حيث انها
توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع
الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن
بل يتعلق بالخلق كالخلافه والقضاء والولايات والحسبه
وامامة الصلاه والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق
وغير ذلك مما يعظم الامر فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذه
القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير
ولا لذه في عينها كالصلاه والصوم والحج فخطرات الرياء فيها
ثلثة احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤيه
الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصيه
لا طاعه فانه تدرع بصورة الطاعه الى طلب المنزله فان قدر
الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الحياء ويقول لها الا تستحيين
مولاك لا تسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل عباده حتى اندفع
باعث الرياء وتسخت النفس بالعمل لله عقوبه للنفس على خاطر الرياء
وكفاره عليه فليشتغل بالعمل الثاني ان ينبعث لاجل الله
ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل
لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في

دفع الرياء وتحصيل للاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام
النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالث لان تعقد
على الاخلاص ثم يطرا الرياء ودواعيه فينبغي ان تجاهد
في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه
اليه قهرا حتى يتمم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك
العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب
ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراي
وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك
بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال
من ترك العمل لخوفه ان يكون مرايا كمن سلم اليه حنطة فيها تراب
وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقيه بالغة فيترك اصل
العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا نقيا
فترك العمل من اصله ترك للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن
هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه مراي
فيعصون الله تعالى به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساء
الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا
يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم

انه مراي هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما
له ولقولهم قالوا انه مراي او قالوا انه مخلص واي فرق
بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراي وبين ان يحسن العمل
خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك
فهذه كلها مكايد الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا
يخليه بل يقول له الان يقول الناس انك تركت العمل ليقال
انك مخلص لا تشتهي الشهرة ويضطرك بذلك الى ان تهرب
فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة
معرفة الناس تزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم
على ذلك فكيف لا تتخلص بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك
معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه في
الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على
العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا
ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات
فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر
الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان
تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع

الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتول بل ان قدرت على ان
تزيد في العمل حيا من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك
الشيطان انك مراى فاعلم كذبه بما تصادق في قلبك من كراهة
الريا وابائه وخوفك منه وحيائك من الله فان لم تجد في قلبك له
كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك
العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد وان
يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك
العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق
المصحف وترك القراة وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال
ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم
وقال الحسن ان كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من رفعه الا كراهة
الشهرة وكان احدهم ياتيه البكا فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة
وقد ورد فيه اثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار
الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام اقرب الى
خوف الشهرة من البكا واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه
وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما
تقدر عليه الاقويا دون الضعفا فالافضل ان يتم العمل ويجتهد

انه يصلح لان يذكره على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه
بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين
ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم علي بصدد النعمة ونفعني بهذه الحكمة
فافيضها ليشاركني في نفعها اخواني المسلمون فهذا ايضا مما يعظم
فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب
الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يترك
ويخالف الهوى فيه الى ان يرتاض نفسه ويقوى في الدين منته ويامن
على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم
بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة
الخلق فنقول قد نهى رسول الله عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى
قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة
الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم
ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا
وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وبطلت المعايش
فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر ابي بن كعب حين راى قوما يتبعونه
وهو في ذلك يقول ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه القران فمنع
من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر

كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمنع منه واستاذن رجل عمر
ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني
من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه
مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضا والخلافة
مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي
كل واحد منهما فتنه ولا فرق بينهما فاما قول القايل نهيك عن
ذلك يودي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القضا لم يود الى تعطيل القضايا بل الرياسة وحبها
تضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا تترك العلوم
تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب
العلوم التي فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وكسروا
السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يويد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل نفسك بامر الناس فان الله لا يضيعهم
وانظر لنفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون
بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم والا فتعلم ان
كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا
واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته

كان حقا ويتقدم على ما يريد في مكانه وان كان باطلا وعند
ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جاير شرا من فسق ستين سنه
بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر
رضي الله عنه يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال عليه
السلام ما من والي عشرة الا جا يوم القيمة مغلوله يده الى عنقه
اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر
ولايه فقال يا امير المومنين اشر علي فقال اجلس واكتم علي وروي
الحسن ان رجلا ولاه النبي عليه السلام فقال للنبي خر لي
قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال النبي صلى
الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها
من غير مسئلة اعنت عليها وان اوتيتها بمسئلة وكلت اليها وقال
ابو بكر الصديق لرافع بن عمر لا تامر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام
بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامر على اثنين وانت وليت امر امة
محمد عليه السلام قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها
فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ما
ورد من فضل الامارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك
بل الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد

الولايات وان الضعفا لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا وانما يعني
بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا ياخذه
في الله لومة لايم وهم الذين سقط الخلق في اعينهم وزهدوا في ١
الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها
وقمعوا الشيطان فايس منهم فهولا لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم
الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة
والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في
الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن
الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة
الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فيكره العزل
فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف الفقها في انه هل يلزمه
الهرب من تقلد الولاية فقال قايلون لا يجب لان هذا خوف امر
في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق
وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة
مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليه
ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع
عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو

كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل
نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا
تستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا او كان فيه عذاب
عاجل على كل من محب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولايات
وحملت على السوال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال عليه
السلام لا نولي امرنا من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوي
والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر رافع بن عمر عن الولاية ثم تقلده لها
ليس بمتناقض واما القضا وان كان دون الخلافة والامارة فهو
في معناها فان كل ذي ولاية امير اي له امر نافذ والامارة
محبوبة بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع الحق والعقاب
فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال عليه السلام القضاة
ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي فقد ذبح
بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفا وكل
من للدنيا ولذاتها وزن في عينه وليتقلده الاقويا الذين لا يا خذهم
لومة لايم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم تقدر القاضي على
القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين
بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان

يتقلد القضا وان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون
خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل
سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله فان
لم تسمح نفسه فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يترقب
عليه ثوابا وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار واما
الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد
العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا
عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون
الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من الدنيا
ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ودفن بشر رحمه الله كذا
قمطرة من الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا
احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق
بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا يوازيها لذة فاذا غلب ذلك
على قلبه مال الطبع الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان
باطلا ونفر عن كل كلام حق يستثقله العوام وان كان حقا
ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم
منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث

في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف
الافضل لشدة الخوف والاقتدا ينبغي ان يكون بالاقويا
واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه
سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله فاستئنافه بعد خروجه
للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الريا وهو
عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما
رفع ترك الاذى فلذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال
الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبة من
الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات اكثر منها لا لمجرد
خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون
قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان
ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو
عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب
اليه لم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم في الكلام فهذا واقع من القسم
الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن الانسان مما لا
يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكا
واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفا الذين

لا يعرفون الافضل ولا يذكرون هذه الدقايق وانما ذكر
تخويفا للناس من افة الشهرة وزجرا عن طلبها

القسم الثاني

ما يتعلق بالخلق ويعظم فيه الافات والاخطار واعظمها
الخلافة ثم القضا ثم التذكير والفتوى ثم انفاق المال اما
الخلافة والامارة فهي من افضل العبادات اذا كان مع العدل
والاخلاص وقد قال عليه السلام ليوم من امام عادل خير من
عبادة الرجل وحده ستين عاما واعظم بعبادة يوازي يوم منها
عبادة ستين سنة وقال عليه السلام اول من يدخل الجنة
ثلثة الامام المقسط وقال ابو هريرة قال عليه السلام ثلاث
لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال عليه السلام
اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل رواه ابو سعيد
الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون
يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقليدها وذلك لما فيها
من عظيم الخطر اذ يتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس
حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا
واذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويو
شك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان

في الظاهر ويخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه
تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه ونقول له اشتغل
وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل
وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قايم به
غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين
احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل
هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في
الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه
الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ
المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف
للمسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت
فيجب اخلا البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفا الشيطان انما
كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب
القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد
الوارد في حق العلما السو ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوايله
ولقد قال عيسى عليه السلام يا علما السو تصومون وتصلون وتصد

قون

ولا تعقلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعلمون فيا سوء ما
تحكمون تتوبون بالقول من الأماني وتعملون بالهوى وما يغني
عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا
تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك
انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا
كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق أقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت
ألسنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح
الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون
ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين
كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن
البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك
لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة
يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم
عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ
خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك عراة
فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم وقد روى الحرث

المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء
شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها
وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين
وفي الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة
ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال عليه السلام ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره
واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي ان يقال للعالم
اشتغل بالعلم واترك مراءات الناس كما يقال لمن خالجه الرياء في
الصلاه لا تترك العمل ولكن اتمم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم
كثير وخطره عظيم كفضل الخلافه والامارة ولا نقول لاحد من
عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفه انما الآفه في اظهاره
بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له اتركه
ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم
يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات
اذا تجردت فيها بواعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء
في اثناء الصلاه وهو لها كاره فلا يترك الصلاه لان آفة الرياء

في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي التصدي
للمناصب الكبيرة وفي العلم وبالجملة فالمراتب ثلث الاولى
الولايات والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف ٥
خوفا من الافة الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو وقد
تعرض لها اقويا السلف وضعفاوهم ولم يوثر منهم الترك لخوف
الافة وذلك لضعف الافات الداخلة فيها والقدرة على
نفيها مع اتمام العمل لله الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين
الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية
والتدريس والافات فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات
فالصلاة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر
الريا والولايات ينبغي ان يتركها الضعفا راسا دون الاقويا ومناصب
العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه
وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وهاهنا رتبة
رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان الانفاق
واظهار السخا استجلاب للثنا وفي ادخال السرور على قلوب الناس
لذة للنفس والافات فيها ايضا كثيرة ولذلك سيل الحسن عن رجل
طلب القوت ثم امسك واخر طلب فوق قوته وتصدق به فقال

القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من
الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدردا ما
يسرني ان اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا
اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرا ولكني اريد ان اكون
من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلما
فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها
افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام
ذكر الله تعالى افضل والاخذ والعطا يشغل عن الله وقد قال عيسى
عليه السلام يا طالب الدنيا تعسف لتبر بها تركك لها ابر وقال
اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر
وهذا فيمن سلم من الافات فاما من تعرض لافة الريا فتركها لها
والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق
بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار منشا الافات والاحب ان يعمل
ويدفع الافة فان عجز فلينظر وليجتهد فيه وليستفت قلبه
وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم
دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الا كثر
اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما يستلذ الخير ويميل

اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور
لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى
اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه
ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة
من الافة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات
فضلا عن الصدقات افضل من امساكه واما الخلاف فيمن يحتاج
الى الكسب ان الافضل ترك المكسب والانفاق او التجرد للذكر
وذلك لما في الكسب من الافات فاما المال الحاصل من الحلال
فتفرقته افضل بكل حال من امساكه فان قلت واي علامة تعرف العالم
الواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم
ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا
واغزر منه علما والناس له اشد قبولا لفرح به ولم يحسده
نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان
الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه
فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له
في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول
احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا

الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه
الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل
يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى
بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما راه الحسن
متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد فتجافيت
له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج
فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له في
كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لا
بلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه
ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص
كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به
في كل يوم حتى انتهى الى اخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو
غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال
صدق الشيخ وبر عليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها
حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله ان مجالس الذكر رياض
الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه
المجالس لمعرفتنا بفضلها ثم اقبل الحجاج يتكلم حتى عجب الحسن ومن

حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجا رجل من اهل الشام
الى مجلس الحسن حين قام الحسن فقال عباد الله المسلمين الا
تعجبوا انى رجل شيخ كبير وانى اغزى فاكلف فرسا وبغلا
واكلف فسطاطا وانى في ثلثماية درهم من العطا وعلى
سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحابه
والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن راسه فقال ما
لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا
وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في
الفساطيط الهبابة وعلى البغال السبابة واذا اغزى اخاه
اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده
فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى
الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج
فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه
الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم
وقل ما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد
في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كانكم
تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة

اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى ناحيته ثم
ينطلق فيسعى بنا الى شرره من النار اني اتيت هذا فقال
اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا عدو الله غزا كذا
واذا غزى اخاه اغزى كذا لا ابا لك تحرض علينا الناس اما
انا على ذلك لا نتهم لنصيحتك فاقصر عليك من لسانك فدفعه
الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ
التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او
تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد
فبهذه العلامات وامثالها يتبين سريرة الباطن ومهما رأيت
العلما يتغايرون ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون
فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل يبيت مع القوم في موضع فيقومون
للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن
يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة
حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا
وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له

نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا
ربما يظن انه رياء وانه لو وجب ترك الموافقة وليس كذلك
على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مومن راغب في عبادة
الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه
العوايق وتمنعه الاشغال وتغلبه التمكن من الشهوات او
تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال
الغفلة او تندفع العوايق والاشغال في بعض المواضع فينبعث
النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد
مثل تمكنه عن النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته
او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطا
لعة حساب له مع معاملته فاذا وقع في منزل غريب اندفعت
هذه الشواغل التي تفتر رغبته الخير وحصلت اسباب باعثة
على الخير مشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا
فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله
فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره
الموضع او بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه
النوم وينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح

بالتهجد دايما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب
هذا النشاط مع اندفاع ساير العوايق وقد يعسر عليه الصوم
في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوز
تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم فان
الشهوات الحاضرة عوايق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم
عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه
ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان
عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا
اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون
رغبته في الزيادة لاجل رويتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى
الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه
لا تسمح بان يسقط من اعينهم ويريد ان يحفظ منزلته وعند ذلك
يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله تعالى
وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوايق وانما داعيتك لزوال
العوايق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا على ذوي البصاير فاذا
عرف ان المحرك هو الريا فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة
واحدة لانه يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى

وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة
بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه
لو راى هولاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو
في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا
يرونه فان سخت به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك
على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الريا وكذلك
قد يحضر الانسان يوم الجمعة من نشاط الصلاة ما لا يحضر
كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب حمدهم ويمكن ان يكون سببه
تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم
على الله وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس
الى حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل
بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكا خوفا
من الله لا من الريا ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكا
الناس يوثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكا فيتباكى تارة ريا
وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون
ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه
ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف

على نفسه القساوة ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير
الاختفا عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب
فينبغي ان يترك التباكي قال لقمن لابنه لا تُرِ الناس انك
تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس
والانين عند القران او الذكر او مجاري الاحوال تارة تكون من
الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة يكون
لمشاهدة حزن غيره وقساوة نفسه فيتكلف التنفس والانين
ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه
كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهي الريا وان
اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاوه
وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع
سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون اصل الانين عن الحزن
ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة ريا وهو محظور
لانها في حكم الابتدا المجرد فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد
معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الريا فيقبله فيدعو الى زيادة
تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر
بعد ذلك ان استرسلت لخشية الله تعالى ولكن يحفظ اثرها

على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه
من الخوف فيسقط ثم يستحي ان يقال انه سقط من غير زوال
عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط
لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتدا السقطة عن صدق وقد يزول
عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فيجزع نفسه ان يقال حالته غير
ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى
دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه
سريعا فيجزع ان يقال لم يكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه
فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكى على غيره يرى انه
يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعيف
عن سرعة المشي وهذه كلها مكيدة الشيطان ونزعات النفس فاذا
حضرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن
واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله تعالى مطلع على ضميره وهو اشد
له مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ
آخر رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم
فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا
بالله من خشوع المنافقين وانما خشوع ان تخشع الجوارح والقلب

غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذا
وغضبه فان ذلك قد يكون للخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم
عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة
مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك
في كل ما خطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه
واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي
هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوف فلك
على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم
بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر
لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله
احد الثلاثة نفر الذين حاجوا ايوب اذ قال يا ايوب اما علمت ان
العبد تضل عنه علانيته التي يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته
وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت
وكان من دعا علي بن الحسين اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة
العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي محافظا على رياء
الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس
احسن امري وافضي اليك باسوا عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا

منهم اليك فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك اعذني من ذلك
يا رب العالمين وقال احد الثلثة النفر لايوب يا ايوب الم
تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب
الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل افات الريا فليراقب
العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر ان للريا سبعين بابا وقد
عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل
وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب
النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود
فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس
وتفتيش عن خدعها بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل
العمل وبعده وفيه، اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في ساير
اوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله
الا من لا يخاف الا الله ولا يرجو الا الله فاما من خاف غيره وارتجا
اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم
قلبه كراهة من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت
وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر
عليها غيره فان النفس عند ذلك تغلي حرصا على الافشاء وتقول

مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكاء العظيم
لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على
مثله فكيف ترضى باخفايه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك
ويحرمون عن الاقتدا بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان يثبت قدمه
ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامها
ابد الاباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من
عباده ويعلم ان اظهاره لغيره يحبب اليهم وسقوط عند الله واحباط
للعمل العظيم فيقول وكيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم
عاجزون لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم ذلك ولا ينبغي ان
ييأس عنه ويقول انما يقدر على الاخلاص الاقويا اما المخلطون
فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط
الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه
كاملة تامة والمخلط لا يخلو فرايضه من النقصان والحاجة الى
الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به
فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي عليه
السلام انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه
قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم

يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقى في النار فياى المخلط يوم القيمة
وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيره فاجتهاده في جبر الفرايض
وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقى
فجهده في زيادة الدرجات فان حفظ تطوعه بقى من حسناته
ما يترجح على السيئات فيدخل الجنه فاذا ينبغى ان يلزم قلبه
خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد
الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا فعل جميع ذلك
فينبغى ان يكون وجلا من عمله خايفا انه ربما دخله من الريا
الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده بجوز ان
يكون الله تعالى قد احصى عليه من نيته الخفيه ما مقته بها
ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك الخوف فى دوام عمله
وبعده لا فى ابتدا العقد بل ينبغى ان يكون فى الابتدا انه مخلص
ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة
يمكن فيها الغفله والنسيان كان الخوف من الغفله عن سابقة
خفية احبطت عمله من ريا او عجب اولى به لكن يكون رجاوه اغلب
وبذلك تعظم لذته فى المناجات والطاعات والاخلاص يقين
والريا شك وخوفه لاجل الشك جدير بان يكفر خاطر الريا ان

من حج فرضه لا يستيقن انه دخله الاخلاص ويشك
بل اذا فعل فيتغله يرى رجا القبول اغلب

كان قد سبق وهو غافل عنه والذى يتقرب الى الله بالسعى فى
حوايج الناس وافادة العلم ينبغى ان يلزم نفسه رجا الثواب
على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجا الثواب
على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافاة وحمد وثنا من
المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم
مساعدة فى شغل وخدمة او مرافقة فى المشى فى الطريق ليستكثر
باستتباعه وتردد امنه فى حاجة فقد اخذ اجره ولا ثواب له
غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه
ليكون له مثل اجره ولكن خدم التلميذ بنفسه فقبل خدمته
فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه
ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلما يحذرون
ذلك حتى ان بعضهم وقع فى بير فجا قوم وادلوا الحبل ليا خذوه
فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه اية من القران او سمع منه
حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخى اهديت
لسفين الثورى ثوبا فرده على قلت يا با عبد الله لست انا ممن يسمع
الحديث حتى ترده على قال قد علمت ذلك ولكن اخوك يسمع منى الحديث
فاخاف ان يلين قلبى لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان

بيدرة او بدرتين وكان ابو صديقا لسفين وكان سفين
ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شي فقال
رحم الله اباك كان وكان واثنى عليه قال فقال يا با
عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الي فاحب ان تاخذ
هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفين قال فلما
خرج قال لمملوكه يا مبارك الحقه فرده على فرجع فقال احب
ان تاخذ لك فلم يزل به حتى رد عليه وكانه كانت اخوته مع
الله في الله فكره ان ياخذ ذاك قال ولده فلما خرج لم املك
نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شي قلبك هذا حجارة
عدانه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم
عيالنا فاكثرت عليه فقال الله يا مبارك تاكلها هنيا مريا
واسال عنها انا فاذا اوجب على العالم ان يلزم قلبه طلب
الثواب من الله في اهتدا الناس به فقط وجب على المتعلم
ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده
لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن انه ان يرى بطاعته
لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته غير
الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد

فكيف لخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز
بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد الله ويخدم المعلم لله لا ليكون في
قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد
امروا بان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك
من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهم الا من حيث ان
رضا الله في رضى الوالدين ولا يجوز له ان يرى بطاعته لينال
به منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف
الله عز وجل رايه وتسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما
الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة
بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم
لمحله فان ذلك يغرس الريا في صدره حتى يتيسر عليه العبادات
في خلوته وانما سكونه معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم
لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم بن ادهم
تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في
صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ
سبعين سنة قلت فما طعامك قال ما حبسني وما دعاك الى هذا
فقلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج

من قلبك حتى يكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير بحذائك
قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون
صومعتي ويطوفون حولها ويعظمون وكلما تثاقلت نفسي
عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة وانا احتمل جهد سنة
لعز ساعة واحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي
المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن
الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي
ادخل الدير فقد راوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير
اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ
قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم
قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا قال اخطات لو
ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر
كيف يكون عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب
والمجي والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب
يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم
نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم
بمثابة فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا

الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال
بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم
عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرورا بسبب
اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن
اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك
ولم يقبل السرور بالركون فيرجى له ان لا يخيب سعيه الا ان
يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا
اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد يكون شهوتها
الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها
في دعوتها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان
انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او ياكل كثيرا او يضحك
فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح بذلك وسمحت بالعبادة
فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر
في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على
وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات
ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة
الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما

غنى والاخر فقير فلا تجد عند اقبال الغنى زيادة هزة في نفسه
لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون
مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى
مشاهدة الاغنيا اكثر فهو مراي او طماع والا فالنظر الى الفقرا
تزيد في رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى
الاغنيا بخلافه فكيف استروح الى الغنى اكثر مما ستروح الى
الفقير وقد حكي ان الاغنيا لم ير في مجلس اذل منهم في مجلس
الثوري كان يجلسهم ورا الصف ويقدم الفقرا حتى كانوا يتمنون
انهم فقرا في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك
او كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث
لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام
وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا
يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك
ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك
رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت
بغداد فتحت علي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت
فان اللسان ينطق عند الغني بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك

يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد
النفس وخباياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها
الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على
نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة
في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك
الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في
بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في
الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام
ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطبا وحارف الصيادلة وعود
نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات
وصبر في مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة
اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما
نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع
عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب
لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دوا تفكر فيما يستفيده
منه من الشفا الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني
وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات

ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة
احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزأ
منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن
والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب
الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند
شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعد الله من النعيم
المقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل
لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو
شاء لأغناهم عن التعب والنصب ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف
صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إذا تحمل التعب في بدايته
أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الأعباء وسهل
عليه الصبر وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة
ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات
ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته فإن الكريم لا يضيع سعي
الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول من تقرب إلي شبرا
تقربت إليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني
إلى لقائهم لأشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه

وإخلاصه فلا يعوزه من الله على القرب ما هو اللائق
بجوده وكرمه ورحمته ۝ تم كتاب ذم الرياء ويليه
كتاب ذم الكبر والعجب إن شاء الله تعالى

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر
العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل
جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين
متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع
الغني الذي ليس له في الملك شريك ولا منازع القادر الذي
بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وبهر العرش المجيد استواؤه
واستواؤه استعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الأنبياء
وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه أو
فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر
ظهر الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمته
وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما

قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه
والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت
بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم
احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا ٥
اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته
وقال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه والكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر
والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان
القصد في هذا الربع من كتب احياء علوم الدين شرح المهلكات
وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي
بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب **الشطر**
الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال
وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر
عليه ودرجات الكبر وبيان ما به التكبر وبيان البواعث على التكبر
وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان
امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

بيان ذم الكبر قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم
كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة
من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا
منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله
ابن عمرو وعبد الله بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر
يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو
زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه
وقال عليه السلام لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في
الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمن
ابن داود يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا
فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع

زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مسّ قدماه
البحر فسمع صوتًا لو كان صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت
به ابعد مما رفعته وقال عليه السلام يخرج من النار عنق له
اذنان يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول
وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الهًا
آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا
سيء الملكة وقال عليه السلام تحاجت الجنة والنار فقالت
النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني
الا ضعفاء الناس وسقاطهم فقال الله تعالى للجنة انما انت
رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي وقال للنار انما انت عذابي
اعذب بك من اشا ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى
ونسي الجبار الاعلا بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي
الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى
بئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت قال
بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس
بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه

وعجزهم

قال ان نوحًا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه
فقال اني آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن
الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض
وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله
في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض
وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها
وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شي وبها يرزق
كل شي وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم
لم يمت جبارًا وقال عليه السلام اهل النار كل جعظري
جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفا المغلوبون
وقال عليه السلام ان احبكم الينا واقربكم في الاخرة احاسنكم
اخلاقًا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون
المتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون فما المتفيهقون
قال المتكبرون وقال عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيمة
ذر في صور الرجال يعلوهم كل شي من الصغار ثم يساقون الى
سجن جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال
عصارة اهل النار وقال عليه السلام يحشر الجبارون والمتكبرون

امثال

يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله وعن
محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي برده فقلت يا بلال ان
اباك حدثني عن ابيه عن النبي عليه السلام انه قال ان في جهنم
واديا يقال له هبهب حقا على الله ان يسكنه كل جبار
فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال عليه السلام ان في النار
قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلام
اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبريا وقال من فارق روحه
جسده وهو بري من ثلث دخل الجنة الكبر والدين والغلول
الاثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا
من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق
الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر ٥
وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء
يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه
بعض الزحمة فرأى اثر ذلك فيه فقال عجبا لابن ادم يتكبر
وقد جرى من مجرى البول وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل
الخرا بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد
قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو الغايط والبول وقال محمد

ابن حسين بن علي ما دخل قلب امرء شي من الكبر قط الا نقص
من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن
السيئة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمن
ابن بشير على المنبر ان للشيطان مصاليا وفخوخا وان من مصالي
الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطا الله والكبر
على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله بيان ذم الاختيال
واظهار اثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا
وقال عليه السلام بينما رجل يتبختر في بردته قد اعجبته
نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة
وقال عليه السلام من جر ثوبه خيلا لم ينظر الله اليه يوم
القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله
ابن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع
ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلا وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال
يقول الله تعالى ابعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك

وعدلتك مشيت بين بردين والارض منك وسل جمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان صدقة وقال
النبي عليه السلام اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس
والروم سلط بعضهم على بعض وقال ابن الاعرابي هي مشية
فيها اختيال وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال
في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان الاثار عن ابي بكر الهذلي
قال بينا نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة
وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج
عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال
اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه
اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة
غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشي احدهم
طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه لله نعمة وللشيطان
به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي
وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه
بزة له حسنة فدعاه فقال ابن ادم معجب بشبابه معجب بجماله

كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك
داو قلبك فان حاجة الله تعالى الى العباد صلاح قلوبهم وروي
ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو
يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية
من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على
هذه المشية حتى تعلمتها وراى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه
فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا كثر
الله في المسلمين مثله ويروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب
في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله
فقال له المهلب ما تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة قذرة
واخرك جيفة مذرة وتحمل بين بدنك عذرة فمضى المهلب وترك
مشيته تلك وقال مجاهد ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر
واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع بيان
فضل التواضع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله
عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال عليه
السلام ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه
فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع

نفسه قالا اللهم ارفعه وقال عليه السلام طوبى لمن
تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية
ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله
عندنا بقبا وكان صايما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن
وجعلنا فيه شيا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة
العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا شيا من
عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه
الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر
افقره الله ومن اكثر ذكر الله أحبه الله وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سايل
على الباب وبه زمانة تتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه
رسول الله على فخذه ثم قال اطعم وكان رجلا من قريش اشمأز
منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة منها
وقال عليه السلام خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او
ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملايكة جبريل
فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى

الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع
لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار
بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال عليه السلام
الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنا وقال عيسى
عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اهل المنابر يوم القيمة بلغ
طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة
طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيمة
وقال بعضهم بلغني ان النبي عليه السلام قال اذا هدى الله عبدا
للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين له ورزقه
مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال عليه السلام اربع
لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل
على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال
رسول الله اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة
وقال عليه السلام ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرحمكم الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا رجل كان يطعم
اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه
فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال عليه السلام

لاصحابه مالى لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة
العبادة قال التواضع وقال عليه السلام اذا رايتم
المتواضعين من امتى فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين
فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة وصغار الاثار قال عمر
رضى الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته
وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره وقصه الله الى
الارض وقال الحسن خشاك الله فهو فى نفسه كبير وفى اعين
الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير
ابن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نايم قد استظل
بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل
استيقظ فاذا هو سلمان الفارسى فذكرت له ما صنعت فقال
لى يا جرير تواضع لله فى الدنيا فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه
الله يوم القيمة يا جرير اتدرى ما ظلمة النار يوم القيمة قلت
لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا فى الدنيا وقالت عايشة
انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط
يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد
وقال الفضيل وقد سيل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له

ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس
قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند
من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه
فضلا وان ترفع نفسك عمن هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه
ليس له بدنياه عليك فضلا وقال قتادة من اعطى مالا او جمالا
او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل
اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك نعمة
فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله
على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه
الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الاخرة وما انعم الله
على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا
منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شا
او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اى الرجال افضل
قال من تواضع عن قدرة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك
على هرون فقال يا امير المومنين ان امرا اتاه الله جمالا فى خلقته
وتواضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده فعف فى جماله
وواسا فى ماله وتواضع فى حسبه كتب فى ديوان الله من خالص اوليا

الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمن
ابن داود عليه السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء
والاشراف حتى يجي الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين
مع مساكين وقال بعضهم كما يكره ان يراك الاغنيا في الثياب
الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقرا في الثياب المرتفعة ويروى
انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن
اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما
الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم
نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق
الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمن ان الله عز وجل
اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى
عليه السلام فخصه منه بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد
انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم
حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون
عند نفسه واوضع ما يكون عند الله تعالى ارفع ما يكون عند نفسه
وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك
ابن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم والله ما

كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما
بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل
من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم كانت عندنا
زلزلة وريح حمرا فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت
امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم
قال فرايت النبي عليه السلام في النوم فقال ان الله عز وجل قد انجاكم
بدعا محمد بن مقاتل وجا رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا
دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت البا فقال له الشبلي
ابادك الله شاهدك او تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه
ذلي عطل ذل اليهود ويقال من راى لنفسه قيمة فليس له من التوا ضع
نصيب وعن الفتح بن سحرف قال رايت علي بن ابي طالب في المنام
فقلت له يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنيا في
مجالس الفقرا رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء
على الاغنيا ثقة بالله تعالى وقال ابو سليمن لا يتواضع العبد حتى
يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق شرا منه
فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما
ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته

التواضع [illegible]

بنفسه وقال ابو سليمن لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي
عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد
مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع
وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه
اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك
بماله تواضع ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا
لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح
الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس
معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع منه
التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت
في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى فاذا
هاجت نار الحسد في نفسه ادركها النصيحة مع توفيق الله تعالى
واذا هاجت نار الحرص ادركها القناعة مع عون الله تعالى وعن [illegible]
الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم
ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر
ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت

نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمر بن شبة قال
كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين
يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت
بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال
فجعلت انظر اليه واتامله فقال ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك
برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل قلت ما
فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله
حيث يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعي هيبة الامير
وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطا السلمي
اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه امراة ماخض
وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطا لاستراح الناس وكان بشر الحافي
يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله
ابن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجو فقال ان الرجا يكون
بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال
سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم اتي الميزان
فان ثقل فانا كريم وان خفت فانا لئيم وقال ابو بكر رضي الله عنه وجدنا
الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع بيان حقيقة

الكبر وآفته اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر الباطن
هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر عن الجوارح واسم
الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق
وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال
تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في
النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه
فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن
العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان
الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون
مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال
فعند ذلك يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه
ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره
مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم
يرى مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات
الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية هو الكبر بل هذه الرؤية
وهذه العقيدة تنفخ فيه ويحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون
الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة

والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر
اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد
صلاة الصبح وكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو
الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة
في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك
قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي
اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراته وتسمى ذلك تكبرا فانه مهما
٥ عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه
عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه
ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك
استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة
عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته وتقدم عليه في
مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالكلام
واستبعد ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج عليه شي
من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن

او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد صح

عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير
استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة من خلق الكبر
كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة
فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته فيه تهلك الخواص
الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا من عوام
الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة
في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا من الجنة لانه يحول
بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب
الجنة والكبر وعز النفس يغلق تلك الابواب كلها لانها لا تقدر
على ان تحب للمؤمنين ما تحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على
التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك
الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر
على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا
يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح وفيه العز ولا معنى
للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ بها
عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا عن ان يفوته عزه
فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق

الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع
الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه
وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال تعالى والملائكة
باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل
النار عذابا اشدهم عتيا على الله فقال ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سارفع فهم
القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت
قال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك
قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا
كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون
انه من شمخ براسه الى السقف شجه ومن تطاطا اظله واكنه
فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول

الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن
حقيقته وقال من سفه الحق وغمص الناس بيان المتكبر
عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر
عليه هو الله تعالى او رسله او ساير الخلق وقد خلق الانسان
ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذا
التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام القسم الاول التكبر
على الله وذلك هو افحش انواع التكبر ولا مثال له الا الجهل
المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه
بان يقاتل رب السماء وكما حكي عن جماعة من الجهلة بل ما حكي عن
كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا
ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الاية وقال تعالى
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا
وزادهم نفورا القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز
النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع

المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول
كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا
بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وقالوا
لولا انزل عليه ملك وقال فرعون وجماعة الملائكة مقترنين
قال الله تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له
موسى عليه السلام امن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان
فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف
عبودية الله ومن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد
ابن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي
اذ قالوا غلام يتيم كيف بعث الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون
رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اي
استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس
اليك وعندك هولاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم
باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون

ربهم الا به ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين
استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار قيل عمار وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم
ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه عليه
السلام محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف
قال الله تعالى فلما جاءهم الحق كفروا به وقال وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من
التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله
والتواضع لرسوله القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان
يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم
وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من
مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا
عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا لا يليق
الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا
يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله
في صفة لا يليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك

فيضعها على رأسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه
للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه
على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله
تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته
اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة
من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على
منهم عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم
ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع
له في بعض امره وان لم يبلغ درجته درجة من اراد الجلوس على
سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة
والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه
نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو
الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين
منازعته في اصل الملك الوجه الثاني الذي يعظم به رذيلة الكبر
انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق
من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين
في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون

تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر
من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس
وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون
وكل من ناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم
في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال
تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروى عن عمر رضي الله
عنه انه قراها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر
بالمعروف فقتل فقام اخر وقال تقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود
كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال عليه السلم
لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي عليه السلام لا
استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت
يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على
امر الله وانما ضربت ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا لتعتبر به
فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني من
نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى

وكان مبداه الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك الى التكبر
على امر الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه
آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله
الكبر بهاتين الافتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول
الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو فقال عليه
السلام لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي خبر آخر من سفه
الحق وقوله غمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله
امثاله او خير منه وهذه الافة الاولى وسفه الحق هو رده وهي
الافة الثانية وكل من راى انه خير من اخيه واحتقر اخاه
وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه
فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله ويتواضع
له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل

بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا
يستعظمها الا وهو يعتقد له صفة من صفات الكمال ومجامع
ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل
والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار
فهذه سبعة اسباب **الاول** العلم وما اسرع الكبر الى العلماء

ولذلك قال عليه السلام آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم
ان يتعزز بعزة العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله
ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم
ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام
او رد عليه ببشر او قام له او اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة
عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل
بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه
شكرا له على صنيعه بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه
ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم
ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده او
اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم ومعروف اليهم و
استحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا اما في امر الاخرة
فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف
عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا
بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف
الانسان به نفسه وربه وخطر الاخرة وحجة الله على العلماء
وعظم الخطر فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم

تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا
منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة
العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما
قال فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم
ان له سببين ان يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي
وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في
لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر
والامن قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ما وراء ذلك
كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات
وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا
ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما بل العلم
هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التوا ضع
غالبا السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة
ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية
قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث
الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا
خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا

مثلاً فقال العلم كالغيث ينزل من السما حلواً صافياً فتشربه
الارض بعروقها فيحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارةً
والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فيحوله على قدر
همها واهوايها فيزيد المتكبر كبراً وهذا لان من كانت همته الكبر
وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً واذا
كان الرجل خايفاً مع جهله فاذا ازداد علماً علم ان الحجة قد تاكدت
عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من اعظم
ما يتكبر به ولاجل ذلك قال الله لنبيه عليه السلام واخفض
جناحك لمن اتبعك من المومنين وقال ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا
من حولك ووصف اولياه فقال تعالى اذلة على المومنين اعزة على
الكافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون
قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرانا القرآن فمن اقرا
منا ثم التفت الى اصحابه فقال اوليك منكم ايها الامة اوليك هم
وقود النار ولذلك قال عمر لا تكونوا جبابرة العلما فلا يفي علمكم
بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص
فابى ان ياذن له وقال له انه الذبح واستاذنه رجل كان امام قومه لن
اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ فتبلغ الثريا وصلى

حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماماً غيري او لتصلن وحداناً
اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم
فكيف يسلم الضعفا من متاخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض
يستحق ان يقال انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاوه فان وجد
ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة
فضلاً من الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في
اقصى الصين لسعينا اليه رجا ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته
وسجيته وهيهات فانى تسمح الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال
والدول قد انقرضوا في الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم
يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك
ايضاً اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه
يقول سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجى
لكان جديراً بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط
مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضاً بالتمسك بعشر ما كانوا
عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما
هو اهله وان يستر علينا قبايح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله ۝
الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر

واستمال قلوب الناس الزهاد والعباد ويرسخ الكبر
منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم
بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام النا س
بقضاء حوايجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم
بالورع والتقوى وتقديمهم على ساير الناس في الحظوظ
الى جميع ما ذكرناه في حق العلما وكانهم يرون عبادتهم منة
على الخلق واما في الدين فهو انه يرى الناس هالكين ويرى
نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما راى ذلك قال
النبي عليه السلام اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو
اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه
مزدري لخلق الله مغتر بالله امن من مكره غير خايف من
سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال
النبي عليه السلام كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم وكم من
الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه
ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم
اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله
بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم

اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته في العمل
وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد
الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرايل يقال له خليع بني
اسرايل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرايل
وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال
الخليع في نفسه انا خليع بني اسرايل وهذا عابد بني اسرايل
فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا
عابد بني اسرايل وهذا خليع بني اسرايل كيف يجلس الي فانف وقال له
قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا
العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر
فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى
انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي اذا تواضع وذل
هيبة لله وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من
العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني
اسرايل اتى عابدا من بني اسرايل فوطي على رقبته وهو ساجد
فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي
علي بل انت لا يغفر الله لك قال الحسن والحسين ان صاحب

الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اى ان صاحب الخز
يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل
لنفسه وهذه الآفة ايضا قل ما ينفك عنها كثير من العباد وهو
انه لو استخف به مستخف او آذاه موذ استبعد ان يغفر الله
له ولا يشك فى انه صار ممقوتا عند الله ولو اذى مسلما آخر لم
يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو
جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق
والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه
واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما اراد به
الا شفا غليله والانتقام منه مع انه يرى طبقات من الكفار
يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبيا عليهم السلام
فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم
يعاقبهم فى الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا
والآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيائه
وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله فى مقت الله باعجابه
وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه وهذه عقيدة المغترين واما
الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطا السلمى حين

كان تهب ريح او صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببى
ولو مات عطا لتخلصوا وما قال الآخر بعد انصرافه من عرفات
كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر الفرق بين الرجلين
هذا يتقى الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدرى
لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل
ما هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما
انه فوق احد من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل
افحش المعاصى واعظم شى يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير
من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن من مكر الله الا
القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبى عليه السلام
فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال
عليه السلام انى ارى فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف
على النبى واصحابه فقال له النبى عليه السلام اسئلك بالله حدثتك
نفسك ان ليس فى القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن فى قلبه سفعة فى
وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد الا من عصمه الله لكن
العلما والعباد فى آفة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان

يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال عليه السلام التقوى هاهنا فقد كان رسول الله اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما الذي يلقاك ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان رضي ذلك لما قال لنبيه واخفض جناحك الاية وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمايلهم واحوالهم اخف

حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ويثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام الليل واختم القران في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف النفس الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اشجع منه او اقوى منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة

والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم
الغريبة ليغرب به على الاقران ويتعظم عليهم وحفظ الاحاديث
والفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله
ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا واحد ليرد عليه ويسوءه
اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه وهذا كله
اخلاق الكبر واثارها التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين
تخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه
الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر كيف يستعظم
نفسه وهو متكبر على غيره وهو بقول رسول الله من اهل النار
وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر
والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا
ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا
ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه
ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل
الثالث التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر
من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر

بعضهم فيرى ان الناس لهم موال وعبيد ويانف من مخالطتهم
ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي
ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان
واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه
وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا
وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه
غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر
انه قال قاولت رجلا عند النبي عليه السلام فقلت يا بن الاسود
فقال النبي عليه السلام يا باذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن
بيضا على ابن سودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل
قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل وانظر
كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه
اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين
تفاخرا عند النبي عليه السلام فقال احدهما للاخر انا فلان ابن
فلان فمن انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر
رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا ابن فلان ابن فلان

حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى الى موسى قل للذى افتخر
بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في
جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي يدوف بآنافها القذر
الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو ذلك
الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي
عن عايشة انها قالت دخلت امراة على النبي عليه السلام فقلت
بيدي هكذا اي انها صغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
اغتبتيها وهذا منشاه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا صغيرة لما
ذكرتها بالصغر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في
جنب نفسها فقالت ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك يجري
بين الملوك في الخزاين وبين التجار في بضايعهم وبين الدهاقين في ارا
ضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير
ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي ومسكين ولو اردت لاشتريت
مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث
بيتي يساوي اكثر من جميع مالك وانفق في اليوم ما لا تاكله في السنة
وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقير وكل ذلك جهل

منه بآفة الغنى وبفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله
تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز
نفرا حتى اجابه وقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي
ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح
صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان
ذلك تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره بقوله يا ليتني لم
اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في
زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون السادس الكبر
بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف السابع
التكبر بالاتباع والانصار والتلاميذ والغلمان وبالعشيرة
والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود
وبين العلما في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة وكل ما هو نعمة
وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمال امكن ان يتكبر به
حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة
المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا
وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان
والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا فيه وهذه

مجامع ما يتكبر به العباد فيتكبر من يدلي بشيء على من لا يدلي بما
يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه
عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه
انه الاعلم وحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على
التكبر واسبابه المهيجة له** اعلم ان الكبر خلق باطن واما
ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان
تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام
النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب
واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه
وبعلمه وبعمله او شيء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما
الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر وسبب في
المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر
فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد
والذي يتعلق بغيرهما هو الريا فتصير الاسباب بهذا الاعتبار
اربعة العجب والحقد والحسد والريا اما العجب فقد ذكرنا
انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في
الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه يحمل على التكبر من

غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد
غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا او رسخ
في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان
كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه
على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او لبغضه له ويحمله ذلك
على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان
يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا
يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو
جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن
من جهته ايذا وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا
الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق
الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد
من اهل بلده او اقاربه حسدا او بغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه
مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه
على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس يرى نفسه
فوقه واما الريا فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر
من هو اعلم منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن

يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة
من ان يقول الناس انه افضل فيكون باعثه على التكبر عليه
الريا المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي
يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة
به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك من ينتمي الى نسب شريف كاذبا
وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب
ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته
في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر
في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على
افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل
هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير
بعين الاستحقار وهو ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر ه

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر

اعلم ان الكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا
واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته
ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه
وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله

[illegible]

واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر
في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له
بين يديه وقد قال عليه السلام من اراد ان ينظر الى رجل من اهل
النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال انس من رسول
الله وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ومنها
ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدردا لا يزال العبد
يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف
من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف حسن
البصري فمنعهم وقال لا يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم
ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان
بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلاة وابدله بالخليع
لاحد هذين المعنيين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير
لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفين الثوري قدم الرملة فبعث
ابرهيم بن ادهم ان تعال حدثنا فجاهم سفين فقيل له يا ابا اسحاق تبعث اليه
بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس
غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابو وهب جلست

الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه
فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون
بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة
من ولايد المدينة تاخذ بيد رسول الله فلا ينزع يده منها حتى تذهب
حيث شاءت ومنها ان يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى
عنهم وهو كبر دخل رجل وعليه جدري يتقشر على رسول الله وعنده
اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي
بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص
ولا مبتلى الا اقعدهم على مايدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في
بيته والتواضع خلافه روي عن عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيفه
وكان يكتب وكان السراج يطفا فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه
فقال ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه قال فانبه الغلام قال
هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملا المصباح زيتا فقال
الضيف قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال ذهبت وانا عمر
ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها ان لا
ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول
الله يفعل ذلك وقال علي لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شي الى عياله

وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى
الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل
حزمة حطب وهو يوميذ خليفة لمروان فقال اوسعوا الطريق للامير
يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما
في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال
بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل
عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ
يظهر به التكبر والتواضع وقد قال عليه السلام البذاذة من الايمان
فقال هرون فسالت معنا عن البذاذة قال هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده
الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في
ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى
عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل
ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز
كان قبل ان يستخلف يشترى الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا
خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك فقال

ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا
تاقت الى الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع
الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد
صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع
الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله
قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل
القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله
عليه السلام من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله
وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت
فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل
نبينا عليه السلام عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن
من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد
ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي
اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله من
حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان ميله الى النظا
وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضى بالثوب الدون قد يكون

من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا
يبالي اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب
الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من
الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض
الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر
لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة
فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط في اللباس الذي لا يوجب
شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال عليه السلام كلوا واشربوا
وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده
وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم
بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح
وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم
قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية
ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو
الاصل وقد اوردنا ما نقل من السلف من احتمال الاذى في كتاب
الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة

رسول الله فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال
ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من
الملبس والمشرب والمركب قال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله
وكل شي من ذلك دخله زهو او مباهاه او ريا او سمعة فهو معصية
وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله يعالج في بيته
كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف
النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري
الشي من السوق ولا يمنعه الحيا ان يعلق بيده او يجعله في طرف ثوبه
فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا
على كل من استقبله من صغير وكبير اسود واحمر حر وعبد من اهل
الصلاه ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي
وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الدقل لا
يرفع غدا العشا ولا عشا لغدا هين المؤونه لين الخلق كريم الطبيعة
جميل المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد
في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى
ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتجشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع
قال ابو سلمة فدخلت على عايشة ام المومنين رضي الله عنها فحدثتها بما

قال ابو سعيد فقالت ما اخطا حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان رسول
الله لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة لاحب
اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما
يمنعه ذلك من صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتى بكنوز الارض وثما زها
ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له
مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو تبلغت
من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني
من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من
ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلا ي
المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محله ولم
يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله ولقد كان اعظم خلق الله
منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتدا به ولذلك
قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في
غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدردا
اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد الارض

فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد عليه
السلام لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية
ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين
والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر ولين وتواضع في غير مذلة وهم
قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلاثون
رجلا على مثل نفس ابرهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم
حتى يكون الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيئا
ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا
ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم
نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا
اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم
فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة
قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات
اوليك حزب الله وحزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء
ما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك
وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا
اقبلت على حب الاخرة وبقدر حبك للاخرة تزهد في الدنيا وبقدر

ذلك يبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه
السداد واكنفه بالعصمة واعلم يا اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في
ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته **بيان**
الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من
المهلكات فلا يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا
يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له
وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع
شجرته من مغرسها في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب
الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال
اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما اما العلمي
فهو ان يعرف الانسان نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة
الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل
واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة
واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبريا الا بالله تعالى اما
معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم
المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع

اماده فى التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة
فى كتاب الله تعالى فان فى القرآن علم الاولين والاخرين لمن يبحث
ببصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شىء خلقه
من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم
اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى
آخره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية
اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان فى كتم العدم
دهورا بل لم يكن لعدمه اول واى شىء اخس واقل من المحو والعدم
وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشيا ثم
من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث
صار شيئا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف
والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا
يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولم ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا
بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل
بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه
وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اى شىء

خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل
يسره وهذه اشارة الى ما تيسر له فى مدة حياته الى الموت ولذلك
قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه
السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا
ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقدا
للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق الاعضا بما فيها
من العجايب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه
بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره
وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى
جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون
فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة
الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت
وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد
الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر وكان

من ذاته لا شيء واي شيء اخس من لا شي واي قلة اقل من العدم
المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل
والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف خسة ذاته فيعرف به
نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف به ربه ويعظم به عظمته
وجلاله وانه لا يليق الكبريا الا به ولذلك امتن عليه فقال
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف
خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة ثم
ذكر منته فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم
وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتدا بالاختراع فمن كان هذا
بدوه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبريا والفخر والخيلا وهو
على التحقيق اخس الاخسا واضعف الضعفا نعم لو اكمله وفوض اليه
امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدا والمنتهى
لكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهايلة والاسقام العظيمة
والافات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح
والدم يهدم البعض من اجزايه البعض شا ام ابى رضي ام سخط فيجوع
كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشي فيجهله ويريد ان يذكر الشي

فينساه ويريد ان ينسى الشي ويغفل عنه فلا يغفل ويريد ان
يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه ويشتهي الشي وربما يكون
هلاكه فيه ويكره الشي ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه
وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه لا يامن في
لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وتفلج اعضاوه ويختلس
عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر
ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شي من
نفسه وغيره فاي شي اذل منه لو عرف نفسه واني يليق الكبر
به لولا جهله وهذا اوسط احواله فليتامله واما اخره ومورده
فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شا انشره
ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه
ادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضايه
وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة
قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاوه وتتفتت
اجزاوه وتنخر عظامه فيصير رميما ورفاتا وياكل الدود اجزاه فيبتدي
بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبسائر اجزايه فيصير روثا في

اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره
كل انسان ويهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود
الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان ويصير
مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان
في اول امره امدا مديدا وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا
بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلا فيخرج من قبره بعد
جمع اجزايه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة
قايمة وسما ممزقة ومشققة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم
منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملايكة غلاظ شداد
وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة
فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال قد كان وكل
بك في حياتك التي تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان
رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل وكثير ونقير
وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله
فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع
قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان ينشر الصحيفة ويشاهد ما
فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلنا ما لهذا الكتاب لا

يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهذا آخر امره وهو
معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر
بل ما له وللفرح في لحظة فضلا من البطر والتجبر فقد ظهر له
اول حاله ووسطه فلو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار
ان يكون كلبا وخنزيرا ليصير مع البهايم ترابا ولا يكون انسانا
يسمع ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير
اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو
بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق
ولو راى اهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة
خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت
قطعة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيف
فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى عنه وهو على شك من
العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا
واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم
بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط
فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة
على ملا من الخلق وليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله

في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد
مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى
ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة ذلك
وذلا فهذا هو العلاج العلمي القاطع لاصل الكبر واما العلاج
العملي فهو التواضع بالفعل لله ولسائر الخلق بالمواظبة على
اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه من احوال الصالحين
ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه كان
ياكل على الارض ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا يوما اعتقت صح
لبست اشار به الى العتق في الاخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة
الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على رسول الله بالايمان
وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة اسرار
لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع
والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحنا وكان يسقط
من يد الواحد سوط فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس
راسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه عليه السلام

ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم
هو منتهى المذلة والضعة امروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم
ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر سائر
الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذي
يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما
يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير
التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة
الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح
وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب
من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب
السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال
الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال
وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر
طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة **الاول**
النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة
امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل
لقد فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات نفسه فمن
اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا
لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي
افترى ان الدودة التي من بول الانسان اشرف من الدودة التي من
بول الفرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا
للدودة الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان
اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه
الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله
التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حما مسنونا
كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبته اذ يقال له يا اذل من التراب ويا
انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من
التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب
اليه من الاب فليحتقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه
فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت
الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل
له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا بالاقدام

والفصل يغتسل منه الابدان وهذا هو النسب الحقيقي للانسان
ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة
وانكشاف الغطاء له كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد
اخبره بذلك والده فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك
اذا اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى
القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم
افترى ان ذلك يبقي شيا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر
الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان
يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من
النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل
التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة
نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه
في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه منها في
نفسه السبب الثاني التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر
الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما
نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بجماله
فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول

في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنيه
والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه
يغسل الغايط كل يوم دفعتين يتردد الى الخلا كل يوم مرتين
ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا من ان
يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حاله
وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة
ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من صلب ثم من
الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى
القذر قال انس كان ابو بكر رضي الله عنه خطبنا فيقذر
الينا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك
قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في باطنه خرا
اذ راه يتبختر قبل خلافته هذا اوله واوسطه ولو ترك
نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه
الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة التي لا
تتعهد بنفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في
اقذار وخلق من اقذار فسيموت ويصير جيفة اقذر من ساير
الاقذار ثم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار

في البوادي بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح
ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا وكان يجب ان
لا يتكبر على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان
جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل
بشباب حاله قد يتصور ان يزول بمرض وجدري وقرحة وشيب من الا
كم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه
الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها ه
السبب الثالث التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك
ان يعلم انما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق
واحد على يده لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه
لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت
انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله
لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق
شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع ذبابة عن نفسه فلا
ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوى انسان فلا يكون اقوى من حمار او
بقر او فيل او جمل واي افتخار في صفة تسبقك البهايم فيها
السبب الرابع الغنا وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع

والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكين من جهتهم وكل
ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة
والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله وكأنه
متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد
ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى
امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان
اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل
كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في اليهود من يزيد عليه في
الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف تسبقك اليهود به
واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا
مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته
ليس اليه دوام وجود وهو في الاخرة وبال ونكال
فالمفاخرة به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشيء من
هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان
استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء فمن
عرف ذلك لا بد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل
بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله

وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند
حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له
فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه واخذه واخذ جميع ما
في يديه وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لافراطه في امواله
وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى
نفسه محبوسا في منزل احدقت به الحيات والعقارب والهوام
وهو في كل حال على وجل من واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه
ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا
حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وكماله ام يذل في
نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه
كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو
مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام وهي كالعقارب
والحيات تخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته
وقوته اذ يعلم انه لا قوة له ولا قدرة وهذا طريق علاج
التكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل
فانهما كمالان في النفس جدير ان يفرح بهما ولكن في التكبر
بهما ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره.

السبب الخامس

التكبر بالعلم وهذه اعظم الافات واغلب الادوا وابعدها
عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك
لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو اعظم
من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا
كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب ان للعالم طغيانا كطغيان
المال ولذلك قال عمر العالم اذا زل يزل بزلته عالم فيعجز العالم
عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة
ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر
الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم
اوكد فانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وانه من عصى
الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله تعالى
عليه في العلم ولذلك قال النبي عليه السلام يؤتى بالعالم
يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور
الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت
آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه
وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال تعالى مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد به علماء اليهود وقال

في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
فاتبعه حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم
كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته
ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم
لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضا فة
الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره
اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك
وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا
اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في
الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع
من التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف
يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند الله من الصحابة وقد
كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر تبنة
من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني
كنت طيرا اكل ذلك كله خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم
اسوء حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الخطر

الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه
شر الخلق ومثاله عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها
فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها
أنه هل أداها كما يرتضيه مولاه أم لا فأخبره مخبر أن مولاه
أرسل إليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا
ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه
الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله
قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح
عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل
ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريق يكون فإذا تفكر
في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وظهر حزنه وخوفه
ولم يتكبر على أحد من الخلق بل رجا أن يكون هو من شفعائه
عند نزول العذاب به فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه
من أوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من
الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده
من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الأمر الثاني أن العالم
يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر

صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع
وقال له إن لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا وإن
رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وأن يكلف نفسه ما
يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه
لا ذنب له مثلا إن تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الأنبياء إذ
علموا أن من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله أن
يستصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم وهذا أيضا
مما يبعثه على التواضع لا محالة فإن قلت فكيف للفاسق الظاهر
الفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد
وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه
أن خطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والمبتدع
أكثر فاعلم أن ذلك مما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر
إلى الكافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر
ويختم له بالإيمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير
من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة
ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من
مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقره

وازدراه لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين
الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل
الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا
حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه
عصى الله بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر مني وان نظر
الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان
نظر الى كبير والى اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون
مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم
له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية
الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان
ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم بان الكمال في
سعادة الاخرة والتقرب الى الله لا فيما يظهر في الدنيا
مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر
عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه
مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان
الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه واذا حبس

جماعة في جناية وتوعدوا ان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر
بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن
الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته
وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله والفاسق وقد امرت
ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم
ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك
لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع
فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس بجنبه ازعجه
من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد
غضب لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على
المطيع ظاهر كونه شرا والحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع
يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب
عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان
ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك من هذا ان
يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما
بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما
سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني

ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل
الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك
فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر
والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك
بالسوء ويختم له بالخير حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت
فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك
اذا امرك بان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا
وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك مما علم الله من خفايا
ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة ولنعرف ذلك بمثال
لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر للمغضوب عليه وترى قدرك
فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل
الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه اذا اساء ادبه واشتغل بما
لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا
يجد بدا من ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب
عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره اليه
ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير
تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر

نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذا ليس من ضرورة
الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر
الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله في
الاخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء
القضا في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر
محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن تجوز ان يكون عنده
اقرب منك في الاخرة وهكذا يكون بعض العلما الاكياس فينضم
اليه الخوف والتواضع واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر
ما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور وهذا
سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه وبحا نبته
بحكم الامر **السبب السابع** التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا
فتنة عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لسائر ير
العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر
عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك
مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم عامل بعلمه وهذا

عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات تذهبن السيئات
وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة
له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما
يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غايبا عنه لم يجز له ان يحتقر عليه صح
عالما بل وجب ان يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان
يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم
ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر
مشكوك فيه فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد من
حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان حسبه هينا وهو عند الله
عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خايفا
فاذا كل واحد من العالم والعابد خايف على نفسه وقد كلف امر
نفسه امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه
الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال
وهذا حال العالم مع العابد فاما مع غير العالم فهم منقسمون
في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور
فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد منه حبا لله

واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد
عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان يتكبر عليه ولا يمكن
ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب غيرك في
طول العمر لا تقدر احصاها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه
اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا
ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل
واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطا فيه كل
ذلك شديد عند الله فرب ما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب
ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من
طاعات الله والاخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر
ذلك سيئاته فينكشف الغطا يوم القيمة فتراه فوق نفسك
بدرجات وهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان
يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك ولا تتفكر فيما هو
ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر
اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا
الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك
فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر

خصال فعدّ تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة
بها ساد مجده وبها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيراً منه وانما
الناس عنده فرقتان ففرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر
منه وادنى فهو متواضع للفرقتين جميعاً بقلبه ان رأى من هو
خير منه لسره ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال
لعل هذا ينجو واهلك انا فلا تراه الا خايفاً من العاقبة ويقول لعل
بر هذا باطن فذلك خير له ولا ادري لعل فيه خلقاً كريماً بينه وبين
الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبري
وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن فيما اظهر من الطاعة ان يكون
دخلها الآفات فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه
وهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقياً وقد سبق
القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم
اذا غلب عليه الخوف رأى كل احد خيراً من نفسه وذلك هو
الفضيلة كما روي ان عابداً اوى الجبل فقيل له في النوم ايت فلاناً
الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فاخبره
ان يصوم النهار ويكتسب ويتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه
فرجع وهو يقول ان هذا لحسن ولكن ليس كالتفرغ لطاعة الله تعالى

فاتى في النوم ثانياً وقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا
الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال ما رأيت احداً من الناس
الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه الذي يدل
على فضيلة هذه الخصلة قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة
اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب
ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق فقال يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون فما
زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف
عند خاتمة الاجل غاية الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر
وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع
دليل الخوف فاذا ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق
والنظر اليهم بعين الاستحقار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال وهذا
معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه
المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر وهو كاذب فاذا
وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا

ينبغي ان يكتفي بالمداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل
ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه
ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في النفس
وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان يناظر في مسالة
مع واحد من اقرانه فان ظهر شي من الحق على لسان صاحبه فثقل
عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه
وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق
الله فيه ويشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة
نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل
فان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان
بالحمد والثنا ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة
ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله
خيرا عما نبهتني له فالحكمة ضالة المومن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر
من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا
وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه
الثنا على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في
الخلوة ويثقل في الملا فليس فيه كبر وانما فيه ريا فليعالج الريا

بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب ان
منفعته في كماله في ذاته عند الله لا عند الخلق الى غير
ذلك من ادوية الريا وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه
الكبر والريا جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص
من الثاني فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني**
ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي
خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر
فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر
وهاهنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل
بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين
الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا
مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار
التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط
عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن
الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة
الفقرا والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال
من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث

في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة على من يذكر جميع ما
ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل
حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان
ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطرق
فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك
من امراض القلب وعللها المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس
طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب
عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ
قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه
حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما
يكفونك قال ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم تقنع
منها بما اعطته من العزم حتى ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام كاذبة
وفي الخبر من حمل الفاكهة والشيء فقد بريء من الكبر **الامتحان الخامس**
ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملاء رياء وفي الخلوة
كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال عليه السلام
من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد بريء من الكبر وقال عليه السلام
انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي

واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا
موسى الاشعري ان اقواماً يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة
فصلى فيها بالناس وهذه مواضع تجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص
بالملاء فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف
الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة** في
خلق التواضع اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة
فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يميل الى
النقصان تخاسساً ومذلة والوسط يسمى تواضعاً والمحمود ان
يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الامور ذميم
واحب الامور الى الله تعالى اوسطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر
ومن تأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئاً من قدره الذي استحقه والعالم
اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له
نعله فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضاً غير محمود بل المحمود عند الله العدل
وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله
ولمن يقرب منه درجته واما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في
الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال
ذلك وان لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه اخوف منه على

بسطة

غيره فلا يحقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته
فاذن سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم
حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر
عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل
عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما
يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك
وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره واحب التملق والتخاسس فقد
خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمومن ان يذل نفسه
الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض
في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف
النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر
كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل
الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما
افحش وكذلك نهاية الكبر ونهاية التخسس والتذلل
مذمومان واحدهما اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل
ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك
بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع

حتى م

الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب
وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما وبيان علاج
العجب على الجملة وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

بيان ذم العجب وآفته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله عز
وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وذكر ذلك في معرض الانكار وقال
تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم
وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى
العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطي فيه كما يعجب بعمل هو
فيه مصيب وقال النبي عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر
آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك في
اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال
الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب
والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود

لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد
المعجب حاصلة له ومتخيلة في اعتقاد القانط فنعما جمع بينهما
وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت
خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا
انها بارة وهو العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه
فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس فيه ذلك عمر فقال
ما زال يعرف في طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله
والبأو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل منه انه اظهر واحتقر
مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس اين انت من طلحة
قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف
يتخلص منه الضعفا ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت
نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال
النبي عليه السلام لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك
العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين
اذا رؤي ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال
الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة

قال لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله
مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة
متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام
الصدقة واستعظام العمل هو العجب ويدعو الى الكبر لانه
احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب ومن الكبر الآفات الكثيرة
التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب
واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن
عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها
فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات
والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها
وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي
عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا
فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية من الشوائب قل ما تنفع
وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب
يغتر بنفسه وبربه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان
وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من

عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها
وان اعجب برايه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفاده ومن الاستشارة
والسؤال فيستبد بنفسه ورايه ويستنكف من سؤال من هو
اعلم منه وربما يعجب بالراى الخطا الذى خطر له فيفرح بكونه من خواطره
ولا يفرح بخاطر غيره ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر
الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطايه فان كان رايه فى
امر دنيوى فيحقق فيه وان كان فى امر دينى لا سيما فيما يتعلق باصول
العقايد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضا بنور
القران واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع
سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من
افات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم افاته ان يفتر فى السعى
لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لا شبهة
فيه **بيان حقيقة العجب** والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون
بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره
حالتان احديهما ان يكون خايفا على زواله مشفقا على تكدره او
سلبه من اصله وهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خايفا من
زواله لكن فرحا به من حيث نعمة الله تعالى عليه لا من حيث اضافته

الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هى العجب وهو
ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به مطمينا اليه ويكون
فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه
عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه به من حيث انه صفته
ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه
منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شا سلبه زال
العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون
اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه
ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة فى الدنيا
واستبعد ان يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده
ما يجرى على الفساق سمى هذا ادلالا بالعمل وكانه يرى لنفسه
على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيا فيستعظمه ويمن عليه
فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد
تخلفه عن قضا حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة فى قوله تعالى
ولا تمنن تستكثر اى لا تدل بعملك وفى الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع
فوق راسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكى وانت
مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب

لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع
جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع فان توقع اجابة دعوته
واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه
لا يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك
فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه ه
بيان علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة
سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة
لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد
كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان
العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا
يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة
والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه
او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به
من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره
فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل
فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه واليه
وباختياره حصل وبقدرته وبقوته فينبغي ان يتأمل في قدرته

وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين
كان له فان كان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له
ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه
وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير
سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من
جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا
لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره
من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي
ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم
عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه يفطن في
صفة من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار والخلعة
لما آثره به فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته
التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان
كان من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب به بل كان كما لو
اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما
اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو
الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او

يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجب
جوده وفضله لا بنفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره
فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك
ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد
بايجاب الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت
وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول
هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك
بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة
فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك
وبوجود اعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد
بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني
بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل
الله وجوده والمحل ايضا من جوده وفضله فان قلت لا يمكنني
ان اجهل اعمالي واني انا عملتها فاني انتظر عليها ثوابا ولولا انها علي
لما انتظرت الثواب وان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل
الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف
لا اعجب به فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما هو صريح الحق والاخر

فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك
وحركتك جميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت
وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا
هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من
ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة
والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت
ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات
في اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة من جهتك معه في
الاختراع الا انه خلق على ترتيب فلم يخلق العلم ما لم يخلق
القلب الذي هو محل العلم فتدرجه في الخلق شيئا بعد شيء هو
الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك
وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سياتي تقريره في كتاب
الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الان نزيل اشكالك
بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان حسبت ان العمل حصل
بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود
علمك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك
من الله تعالى لا منك فان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا

المفتاح بيد الله وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل
فالعبادات خزاين بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة
والارادة والعلم وهي بيد الله لا محالة ارايت لو رايت خزاين
الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفاتيحها بيد خازن ولو جلست
على بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار
مما فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه
فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك
منها فمددت اليه فاخذتها كان اعجابك باعطا الخازن المفاتيح
او بما اليك من مد اليد واخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من
الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب وانما الشان
كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة
الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف
حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك
وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى
ليس شي منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب ممن اليه
الامر كله هلا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على
الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك

وملتهم

وسلط اخدان الفسق ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك من
اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث
الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك وتيسر لهم الشر
فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة
سابقة من الفاسق العاصي بل اثرك وقدمك واصطفاك بفضله
وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا
عرفت ذلك فاذا لا تنصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله
عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها وكانه الذي اضطرك
الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي
في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب وما يستبين
به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب
اذا رزقه عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول
كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم
الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدري
المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم
اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت
له بين العقل والغنى وحرمتني عنهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني

أحدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال
العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب من رزقه والعجب ان
العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو
قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك لامتنع منه
فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر فلم يتعجب منه
والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة
القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل الجمال من الزينة ويخصص
مثل ذلك القبيح ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها
وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبيح مع الغنى لآثرت الجمال
فاذا نعمة الله عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه
يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك
فرسا فيقول ايها الملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول
كنت لا تعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهبني ما اعطيتك اصار
نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام
لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم
المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداءه بها
قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث الخضوع

والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان
يعجب بعمله وعلمه اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك
لما قال داود عليه السلام يا رب ما ياتي ليلة الا وانسان ن
من آل داود قائم ولا ياتي يوم الا وانسان من آل داود صائم
وفي رواية ما يمر من ليل ولا نهار الا وعابد من آل داود
يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى الى
داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك
ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب
داود ما اصاب من الذنب لعجبه بعمله اذ اضاف الى آل داود
مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم
وقال داود ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب
فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب واني ان ابتليتني صبرت
فادل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليهم
ولا في اي شهر ولا في اي يوم وأنا مخبرك في سنتك وشهرك
ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك
لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على كثرتهم
وقوتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب عن قلة وكلوا الى انفسهم

فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا
وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروي ابن عيينه
ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلا وما ورد
علي امر الا اثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة
الاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اى من اين لك ذلك فاخذ
رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه
اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي
عليه السلام لاصحابه وهو خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا
مع صفا اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله
او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة
العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب
هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد
سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف
ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة

لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد
ومطيع قد فسق وختم له بالسو وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان ما به اقسام العجب وتفصيل علاجه اعلم ان العجب بالاسبا ب
التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي
الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية **الاول** ان يعجب
ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله
وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال
نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في
كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في
اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان
الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حيث
استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد
حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته فاقتلع جبلا
ليطبقه على عسكر موسى فثقبه الله حتى صار في عنقه وقد
يتكل المومن ايضا على قوته كما روي عن سليمن عليه السلام
انه قال لاطوفن الليلة بماية امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم
ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني

ضرب اعجاب بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب
والقا النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل
لكل من قصده بسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان
حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها
الله تعالى بادنى افة تسلطها عليه الثالث العجب بالعقل
والكياسة والتفطن لدقايق الامور من مصالح الدين والدنيا
وثمرته الاستبداد بالراى وترك المشورة واستجهال الناس
المخالفين لرايه ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا
عنهم بالاستغنا بالراى والعقل واستحقارا لهم واهانة
وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى
مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا
يامن ان يسلب عقله ان اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر
عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتى من العلم الا قليلا وان اتسع
علمه وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم
يعرفه الناس من علم الله وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف
يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا
يدرى فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغى ان

يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدايه لا من
اصدقايه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا
يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد
به عجبا الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية
حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة ابايه
وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق لهم موالى
وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم
واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى باباءه
فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازرا على النفس
واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم
والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساواهم في النسب وشاركهم في القبايل من لم يومن بالله
وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك
قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اى لا تفاوت
في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب
فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله من اكرم
الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال اكرمهم

اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وانما انزلت
الآية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة وقال الحرث
ابن هشام وسهل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد
الاسود يوذن فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال
عليه السلام ان الله قد اذهب عنكم غبية الجاهلية
اى كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتى الناس يوم القيمة بالاعمال
وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول
هكذا اى اعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب
قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم
بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله اعملا لانفسكما فانى لا اغنى عنكما من الله شيا فمن عرف
هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة ابايه
التواضع اقتدى بهم فى التواضع والتقوى والا كان طاعنا فى نسب
نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى
والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال عليه السلام بعد قوله لفاطمة
وصفية انى لا اغنى عنكما من الله شيا الا ان لكم رحما سابلها ببلالها

وقال عليه السلام ايرجوا سليم شفاعتى لا يرجوها بنو عبد
المطلب فذلك يدل على انه يستخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان
كل مسلم فهو منتظر شفاعة محمد والنسيب ايضا جدير بان يرجوها
ولكن بشرط ان يتقى الله ان يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا
ياذن لاحد فى شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت
فلا يوذن بالشفاعة فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب
عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا فاذا انقسمت
الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع فيها وجب الخوف والاشفاق
لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة
ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها فى اتباع الشهوات لتكمل
لذتها فى الدنيا ثم يشفع لها فى الاخرة لتكمل لذتها فى الاخرة فالانهماك
فى الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهى انهماك
المريض فى شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من اب
او اخ او غيره وذلك جهل لان سعى الطبيب وهمته وحذقه ينفع فى ازالة
بعض الامراض لا فى كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد
الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن فى الامراض الخفيفة وعند

غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء من
الانبيآء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا
وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون
ان يكونوا بهايم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم
وصفا قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله اياهم بالجنة
خاصة وساير المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم
يفارق الخشوع والخوف قلبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل على
الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس** العجب
بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا
غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم
على عباد الله والفساد في دين الله فانهم ممقوتون عند الله تعالى
ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم
ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم
واستحقارا ولو انكشف له ذلهم يوم القيمة وقد تعلق الخصماء بهم
والملايكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم
العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير

أحب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله
من ظلمهم ان يشكروا الله على سلامة دينهم ويستغفروا لابايهم
ان كانوا مسلمين فاما العجب بسببهم فجهل محض **السادس** العجب
بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب
والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا
وكما قال المؤمنون اليوم لا نغلب عن قلة وعلاجه ما ذكرناه
في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة
لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات
فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يوافقه ولد واهل وقريب
وحميم وعشير فيسلمونه الى البلى والى الحيات والعقارب
والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم
وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه الاية واي خير فيمن يفارقك في اشد
احوالك ويهرب منك وكيف يعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة
وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف يتكل على من لا
ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك

السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارًا عن
صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا
وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه
فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلام اخشيت
ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات
المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقرا وسبقهم
الى الجنة في القيمه والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له
والى من في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه السلم بينما
رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشارة الى عقوبة اعجابه بماله
وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد
فقال لي يا باذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب
جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه خلقان
فقال يا باذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا
وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم
المال يبين حقارة الاغنيا وشرف الفقرا عند الله فكيف يتصور
من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن الخوف من تقصيره

في القيام بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه
ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه
الثامن العجب بالراي الخطا قال تعالى افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ○
وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على
آخر هذه الامة وبذلك تهلك الامم اذا افترقت فرقا وكل
معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع
والضلال انما اصروا عليها لعجبهم برايهم والعجب بالبدعة هو استحسان
ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا
العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه
لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فيعسر
مداواته جدا الا ان العارف يقدر على ان يبين للجاهل
جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا
يصغي الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه
وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب
سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه
ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل

عقل صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة
الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة
وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنة
ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك
فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور والصواب لمن لا يتفرغ
لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها
ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له وأنه ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير وأن رسوله صادق فيما أخبر به
ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من
غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا
ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة
على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب
في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على
أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم فأما الذي عزم التجرد للعلم
فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر
فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر
عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود

جدا فنسأل الله العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار
بخيالات الجهال ۞ تم كتاب ذم الكبر والعجب
ويليه كتاب ذم الغرور

كتاب ذم الغرور وهو العاشر من
ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الحمد لله الذي بيده
مقاليد الأمور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج
أوليائه من الظلمات إلى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور
والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور وعلى آله وأصحابه
الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة
تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور ۞ أما بعد
فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور
والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة ولا
وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم
من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة
فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي
يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور والاكياس هم الذين اراد الله ان يهديهم
فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين
اراد ان يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كانما يصعد من السماء
والمغرور هو الذي لم ينفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا
وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان
الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح
مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد
بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من علم مداخل الآفات
والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن
نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلماء
والصالحين الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة
سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك

وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني
عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة
اصناف الصنف الاول من العلماء والصنف الثاني من العباد والصنف
الثالث من المتصوفة والصنف الرابع من ارباب الاموال والمغتر
من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر
معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم
من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ
الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من ترك الاهم واشتغل بغيره
ومنهم من ترك الفرض واشتغل بالنافلة ومنهم من ترك اللباب
واشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج
الحروف الى غير ذلك من مداخل لا يتضح الا بتفصيل الفرق وضرب
الامثلة ولنبدأ بغرور ذكر العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان
حده وحقيقته **بيان ذم الغرور** وحقيقته وامثلته اعلم ان
قوله تعالى لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى
ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني كاف
في ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم
الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة

من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال
عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد في
فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور
عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشي على
خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور
بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو
الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان
السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل
ولا يكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون
النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة
من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل
عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم
الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذن مغرورون وان اختلفت
اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر
واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور
العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا
ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا
فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة
نسيئة فاذن هو خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير
من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا
نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس
ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى الذين اشتروا الحياة
الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان
اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله
ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله وما عند الله خير
وقوله تعالى والاخرة خير وابقى وبقوله وما الحياة الدنيا
الا متاع الغرور وبقوله لا يغرنكم الحياة الدنيا وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم طوايف من الكفار فقلدوه
وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال
نشدتك الله ابعثك الله رسولا وكان يقول نعم فيصدق

وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور وينزل هذا منزلة وجه
تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب
مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان
والبرهان هو ان تعرف فساد هذا القياس الذي نظمه
في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك
السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس
ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر
على نظمه بالفاظ العلما فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه
اصلان احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح
والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس
فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار
والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان
هذا الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما لياخذ عشرة نسيئة
ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب في
الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك الحال خوفا من الم المرض في
المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم
يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح

نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال
فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى
عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من الف
جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا لياخذ الفا بل ياخذ ما
لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا
مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير
مكدرة فاذن قد غلط في قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا
غرور منشاؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص
فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من
النسيئة اراد به خير من نسيئة مثلها وان لم يصرح به وعند
هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك
اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك
والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك
والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على
شك وكذلك داب العقلا بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك
ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جايعا وعظم ضرري وان اتجرت
كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدوا في باب الاضافة

ان

وهذا القياس اكثر فسادا اذا سمي الاول كل
اصلين باطل اذا اليقين خير من الشك

السبع الكريم وهو من الشفاعل
يتلو من مرارة الدوا على يقين ومن
يعول من ان الدوا

الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الاخره
واجب عليه بحكم الجزم ان يقول الصبرا ياما فلايل وهو
منتهى العمر بالاضافه الى ما يقال من امر الاخره فان كان
ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حياتى وقد كنت من
الازل الى الان لا انعم فاحسب انى بقيت فى العدم وان كان
ما قيل صدقا فابقى فى النار ابد الاباد وهذا لا يطاق
ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلته
فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا
وهلكت وما قال هذا عن شك منه فى الاخره ولكن كلم
الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور
واما الاصل الثانى من كلامه وهو ان الاخره شك وهو ايضا
خطا بل ذلك يقين عند المومنين وليقينه مدركان احدهما
الايمان والتصديق تقليدا للانبيا والعلما وذلك ايضا يزيل
الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض
لا يعرف دوا علته وقد اتفق الاطبا واهل الصناعه من عند
آخرهم على ان دواه النبت الفلانى فانه يطمين نفس المريض
الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبيه بل يثق

بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى او معتوه يكذبهم فى ذلك
وهو يعلم بالتواتر وقراين الاحوال انهم اكثر منه عددا
واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم له بالطب
فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يفتر فى
عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطبا كان معتوها
مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالاخره والمخبرين عنها
والقايلين بان التقوى هو الدوا النافع فى الوصول الى سعا
دتهم (دها)
وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة فى البصيره والمعرفه والعقل
فهم الانبيا والاوليا والحكما والعلما واتبعهم عليه الخلق
على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوه
ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم
الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخره وكذبوا الانبيا
فكما ان قول الصبى وقول السوادى لا يزيل طمانينة القلب
الى ما اتفق عليه الاطبا فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته
الشهوات لا يشكك فى صحة اقوال الانبيا والعلما وهذا
القدر من الايمان كاف لجمله الخلق وهو يقين جازم يبعث على
العمل لا محاله والغرور يزول به واما المدرك الثانى لمعرفة الاخره

هو الوحي والالهام الوحي للانبيا والالهام للاولياء ولا
تظنن ان معرفة النبي عليه السلام لامر الاخرة ولامور الدين
تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي حتى
تكون معرفتك كمعرفته وانما تختلف المقلد فقط هيهات
فان التقليد ليس معرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبيا عارفون
ومعنى معرفتهم انهم كشف لهم حقيقة الاشيا كما هي عليها
فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات
بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد
وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله
وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان
ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر
انشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك
عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم
الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير
من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل
موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح
ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستنصار اكثر

الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف
سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه
واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته
وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن مقتضى
طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض
الغريب ورد على ادم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية
وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها
في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب
له هو
تعالى طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم
الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل
ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا
الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن
مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة من كمامها
اذا خرجت من معدنها الفطري وهذه اشارة الى اسرار تهتز
لاستنشاق روايحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها
القاصرون فانها تضرهم كما يضر رياح الورد بالجعل وتبهر
اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح

هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة
وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات
الانبيا ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان
بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة
من جهة الباطن والمومنون بالسنتهم وبعقايدهم اذا
ضيعوا امر الله وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا
الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور
لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان
اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو
بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخرة
خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا واثروها ومجرد
الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من
المحسنين ثم قال النبي عليه السلام الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع
كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا

بالايمان وحده فهولا ايضا مغرورون اعني المطمئنين
الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها
الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين
له خيفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار
والمومنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور
الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول
بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله معاد فنحن
احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله
تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن السا عة
قايمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار
واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج
امراة بالف دينار وفي ذلك كله يعظه المومن ويقول اشتريت
قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا نا
في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة
من الحور العين لا تموت وفي ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما
هناك شي وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لي

الاخرة خير من هذا ولذلك وصف الله قول العاص بن وايل
اذ يقول لاوتين مالا وولدا قال الله تعالى ردا عليه
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروى عن خباب بن
الارت انه قال كان لي على العاص بن وايل دين فجيت
اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في الاخرة فقال اذا
صرت الى الاخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل
الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا
وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته
ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمة ولئن رجعت الى ربي
الاية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس
وذلك ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه انهم
نعمة الاخرة كما قال تعالى ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومرة ينظرون الى المومنين
وهم فقرا شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم فيقولون اهولا
من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه
وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن
الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه

محسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر شعر
لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى ۝ وانما يقيس
المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول
لولا اني كريم عند الله تعالى ومحبوب لما احسن علي
والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعا مه
عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله تعالى اذ ظن انه كريم
عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير يدل على
الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب
الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره
ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش
كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كلما يشتهي فيظن هذا
المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته
ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه
وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا فانها مهلكات ومبعدا ت
من الله وان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه
الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب

البصاير اذا اقبل عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت
عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت والاهمال واذا اقبل
الفقر مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبل عليه
الدنيا ظن انه كرامة من الله واذا صرف عنه ظن انه هوان
كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه
ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واذا ما ابتلاه فقدر
عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرور
قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا
هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان أو فقيرا
والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور
علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما
بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى
الشهوات الدنيا مبعدا من الله تعالى ووجه كون التباعد عنها
مقربا الى الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين
والاوليا وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة
واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله
ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال

وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب
كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون وفي تفسير قوله سنستدرجهم انهم كلما احدثوا
ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي
لهم ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب
الله وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان
منشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا
يأمن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون
وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم
تدميرا وقد حذر الله مكره واستدراجه فقال فلا يأمن مكر
الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
وقال والله خير الماكرين يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل
الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال
السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر
ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب

ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى فاذا من آمن مكر
الله فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا
على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان
ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطته
يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على
الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثالث** هو غرور
العصاة من المؤمنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه
واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم
واغترارهم رجا وظنهم ان الرجا مقام محمود في الدين وان نعم
الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في
بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان
وربما كان مستند رجايهم التمسك بصلاح الآبا وعلو رتبتهم كاغترار
العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبايهم في الخوف والتقوى
والورع وظنهم انهم اكرم على الله من آبايهم اذ آباؤهم مع غاية الورع
والتقوى كانوا خايفين وهم في غاية الفجور والفسق آمنون وذلك
نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا
احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم ولا تحتاجون الى

الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب
ولده في السفينة فقال رب ان ابني من اهلي فقال انه ليس من
اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه
فلم ينفعه وان نبينا عليه السلام استاذن ربه في ان
يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة ولم يؤذن في
الاستغفار فجعل يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة
وهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع
ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض المطيع ببغضه للولد العاصي
فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع ولو كان
الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا
بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى
ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما
بنعم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض
عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر
المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد
غضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر
والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله

كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته فما هذا الا كلام صحيح
مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوى الانسان الا
بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولا حسن ظاهره لما ولولا
انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف
ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله
غير الشيطان اسمه فسماه رجا حتى خدع به الجهال وقد شرح
الله الرجا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اوليك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم يليق وهذا
لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزا على الاعمال قال تعالى
جزا بما كانوا يعملون وقال وانما توفون اجوركم يوم القيامة
افترى ان من استوجر على اصلاح اوانى وشرط له اجرة عليها
وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا خلف بل يزيد فجاء
الاجير وكسر الاوانى وافسد جميعها وجلس ينتظر الاجر ويزعم ان
المستاجر كريم افيراه العقلا في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا
وهذا للجهل بالفرق بين الرجا وبين الغرة وقيل للحسن قوم يقولون
نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم

يترجحون فيها من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه وقال
مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال
له رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيا
طلبه ومن خاف شيا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا
وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل معتوه فكذلك
من رجا رحمة الله وهو لم يومن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم
يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطى وانزل بقي مترددا
في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الافات
عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل
الصالحات وترك السيات وبقي مترددا بين الخوف والرجا يخاف
ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسو ويرجو من فضل
الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات
الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه من الميل الى الشهوات بقية
عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون
بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن
نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا

بنت زرع الاحراثه وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة
ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا
الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه
سوف يرى وكلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم
نذير الم نسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما
كسبت وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله
بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في
اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت
فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين
احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطر له التوبة فقال الشيطان
واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان
تقمع القنوط بالرجا وتتذكر ان الله كريم يقبل التوبة من عباده
وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا وهو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم ما لا نابه وقال تعالى
واني لغفار لمن تاب فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج
وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه

وقت الجمعة وهو في السوق فيخطر له ان يسعى الى الجمعة
فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ادراك الجمعة
فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام
الصلاة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من
الاسباب الذي لا يعرفه فهو مغرور والثاني ان تفتر نفسه
عن فضل الاعمال ويقتصر على الفرائض فيرجي نفسه نعيم الله
تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط
العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجا الاول يقمع
القنوط المانع من التوبة والرجا الثاني يمنع الفتور المانع
من النشاط والتشمر وكل توقع حث على توبة وعلى تشمر
في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة
وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب
ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك وايذا نفسك
وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة

فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف
فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه
مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه كريم
خلد الكفار في النار ابد الاباد مع انه لم يضره كفرهم بل
سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على
جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه
سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف لا اخافه واعتبر
به بالخوف والرجا قايدان وسايقان يبعثان على العمل
فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجا كافة الخلق هو
سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله
واهمالهم السعي للاخرة فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد
كان ما وعده عليه السلام فقد كان الناس في الاعصار
الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا وقلوبهم وجله
يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبا
لغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على
انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين

مطمئنين غير خايفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في
الدنيا واعراضهم عن الله زاعمين انا واثقون بكرم الله وفضله
وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم
الله وفضله ما لم يعرفه الانبيا والصحابة والسلف الصالحون
فان كان هذا الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا فعلى ما
ماذا كان بكا اوليك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا هذه الامور
في كتاب الرجا والخوف وقد قال عليه السلام فيما رواه معقل
ابن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال
كما يخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه
ان احسن احدهم قال سيتقبل مني وان اسا قال يغفر لي فاخبر
انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما فيه
ومثله اخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر
لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علما ياخذون عرض هذه
الدنيا اي شهواتهم من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى اخره
تحذير وتخويف لا يتفكره متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه

ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون
الحروف من مخارجها ويتناظرون على دفعها وخفضها ونصبها
وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا الالتفات
الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم غرور يزيد على
هذا وهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجا والغرور
ويقرب منه غرور طوايف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم
اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم
مع ان ما في كفة السيئات اكثر فهذا غاية الجهل فترى الواحد
يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله
من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به هو
من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف درهم حرام
يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع
عشرة دنانير في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الفا واراد ان
يشيل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله
ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه
ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي
يستغفر الله بلسانه او يسبح له مائة مرة ثم يغتاب المسلمين

ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير
حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر مائة كتب م
مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كان مثل تسبيحه
مائة مرة او الف مرة وقد كتبها الكرام الكاتبون ووعد الله
العقاب على كل كلمة وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد لذاته فهو ابدا يتأمل في فضايل التسبيحات والتهليلات
ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين
والمنافقين بذكر ما لا يضمره الى غير ذلك من افات اللسان وذلك
محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة
النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند
ذلك يكف عن لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته
كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه
اجرة نسخه فيا عجبا ممن يحاسب نفسه ويحتاط على قيراط يفوته
في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى
ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر
ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من
الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن

وانا ابرا الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحن من صدنا عن
البينه واليقين مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط
هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به
اتكالا على اباطيل المنى وفعاليل الشيطان والهوى ٥

بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف الصنف الاول
اهل العلم والمغترون بينهم فرق ففرقة منهم احكموا العلوم
الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا
تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا
بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم
مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا
يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم
لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معامله وعلم
مكاشفه وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعادة على المعرفة
فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق
النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي
علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه
العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال

هذا مريض به علة لا يزيلها الا دوا مركب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الا حذاق الاطبا فيسعى في طلب الطبيب بعد ان ه
جر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدوا وفصل له
الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب
وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم
ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته
وهو يكررها ويقروها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها
واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيا هيهات لو كتب
منه الف نسخه وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة
الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيا الى ان يزن الذهب ويشتري
الدوا ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون في شربه
وقته وبعد تقديم الاحتما وجميع شروطه واذا فعل ذلك فهو على
خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه
ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات
ولم يفعلها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق
المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم
يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم

يقل قد افلح من تعلم كيفية تركيبها وكتب علمها وعلمها الناس
وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال
فان العلم بالدوا لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه
والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضل
العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه
فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان
اتذكرني فضايل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر
الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال عليه السلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال
عليه السلام يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
كما يدور الحمار في الرحى وكقوله عليه السلام شر الناس
العلما السو وقول ابي الدردا ويل للذي لا يعلم ولو شا الله
لعلمه وويل للذي يعلم سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ
يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف عملت وقضيت شكر الله
وقال عليه السلام اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم

ينفعه الله بعلمه وهذا وامثاله مما اوردنا في كتاب
العلم في باب علامات علما الاخرة اكثر من ان يحصى الا انها
لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه
فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه
ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي
اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلما السو وان
حالهم اشد عند الله من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه
على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية الغرور فاما الذي يدعي
علوم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمايه وهو مع ذلك
يهمل العمل ويضيع امر الله وحدوده فغروره اشد ومثاله
من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه
وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه
وما يغضب عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو
ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام
وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص
به متلطخا بجميع ما يكره الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا
اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في ..

سياسة غلمانه ومعاملة رعيته وهذا مغرور جدا اذ
لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه
ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربته والاختصاص
به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه
لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف
الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد
عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود
خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله
واسمه قد لا يخافه فكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف
من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرة من
لو اهلك مثله آلافاً مؤلفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد لم يؤثر
ذلك فيه اثرا ولم ياخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وفاتحة الزبور راس
الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى
بالاغترار بالله جهلا واستفتي الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل
ان فقهانا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه
القايم ليله الصايم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري

ولا يماري ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت
حمد الله فاذن الفقيه من عرف عن الله امره ونهيه وعلم
من صفاته ما كرهه وما احبه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين
وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات
الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا
عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والريا
وطلب الرياسة والعلا وارادة السمو بالاقران والشركا
وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك
مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها فلا يلتفت الى قوله
عليه السلام ادنى الريا شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه السلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله عليه
السلام حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الما البقل
الى غير ذلك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات
في الاخلاق المذمومة فهولا زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم
ونسوا قوله عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم

وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا
القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب
سليم ومثال هولا كمثل حش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور
الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع
السراج على ظهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة
الملك الى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر
داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع
زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع
عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا
يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة
في القلب فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة
الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر
بالطلا وشرب الدوا فالطلا ليزيل ما على ظاهره والدوا ليقلع
مادته من باطنه فقنع بالطلا وترك الدوا وبقي يتناول ما
يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دايم به يتفجر من
المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا هذه الاخلاق
الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم

بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من
ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في
العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر
عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا
كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله
وارغام انف المخالفين من المبتدعين واني لو لبست الدون من الثوب ب
وجلست في الدون من المجلس شمتت بي اعدا الدين وفرحوا بذلك
وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره
مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم
بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين وينسى ما روي عن الصحابة
من التواضع والذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر
رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام وقال انا
قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب عز الدين بالثياب الرفيعة من القصب والدبيقي والابريسم
المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب عز العلم وشرف الدين
وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه وفيمن رد عليه شيا
من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب

للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يفطن بنفسه
الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع
غيره من رياسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل
غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم
آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه
من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له
خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء
الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل
المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان
كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم
على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان
ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب
فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله
يطلع من ضميره انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم
اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل
لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به

تظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل
على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له فاذا
خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان
هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك ان
تنفع المسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك
والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند السلطان
فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل
ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه
والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ
من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال
لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك
قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا
التلبيس في ثلثة امور احدها في انه مال لا مالك له فانه
يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم
احياء قيام واولادهم وذريتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط
في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف
في انه مال حرام ولا يقال انه مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة

ويرد الى كل واحد عشره وان كان كل واحد قد اختلط
بالاجر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام
الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين
ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن
الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا ورفضوها واقبلوا
على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين
لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا
والاقبال على الله كالانبيا والصحابة وعلما السلف والدجال
هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا
فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام
الدين ومثله كما قال عليه السلام للعالم السو انه
كصخرة وقعت في الوادي فلا هي تشرب الما ولا هي تترك الما يخلص الى
الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخره خارجة
عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى
احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا
ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الريا
والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في

التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم
بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد
الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم
يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من
الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه قطعه الا انه
لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض فظن ان الكل قد ظهر
وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت
تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد قطعها فاذا هو بها في
غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري
فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا
والتفقد للدقايق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها
وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص
على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر
ق وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق
الالسنة عليه بالثنا والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في
المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ
بحسن الاصغا عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الروس على

كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب
والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر
الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد
والتمكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا
لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتميز واعتداد بالتخصص
ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر
وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثنا فلو تغير عليه القلوب
واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوش عليه
قلبه ويختلط أوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه
وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة
والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه
فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وإن كان ذلك على
وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره
لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده
وأكثر ثنا وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون
منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه
وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع

خلقه ويرى أن ذلك يكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح
النية فيه وعساه لو وعد مثل ذلك الثواب في إيثار الخمول
والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والإخفاء
لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان
من زعم من ابن آدم أنه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي
وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع
به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع
تصنيفه ومحي عنه اسمه ونسب إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع
علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما ترجع إلى المصنف والله
عالم بأنه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء
على نفسه إما صريحا بالدعاوي الطويلة العريضة وإما ضمنا
بالطعن في غيره ليستبان من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه
وأعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من
الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه إلى قائله وما يستحسنه لعله
لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه فيفعل بعينه كالسارق له أو
يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه
مسروق ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه بكلا

ينتسب الى الوكالة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها
وترتيبها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان
بعض الحكما وضع ثلثمئة مصحف في الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه
قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل
جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد
بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع
كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه
وانه اكثر تبعا او غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان
غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة
تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع الى
غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك
لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر
من قبل ولا يحرص على الثنا عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول
بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه
لافة من الافات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها
في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل
واحدا منهم اذا تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره

فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول
انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه
ربما فرح به وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب
وجهه اذا ذكر عيوبه ليظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر
قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا
وامثاله من خفايا القلوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا
يتنزه منها الا الاقويا ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا
ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه
ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد
خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته
سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه
الممتن على الله بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ
بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال
هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل
بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم
وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل
ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على

علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات
الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه
بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال
الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان
عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين
وكذا ساير الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا والحسد
وساير المهلكات فهولا مغرورون من وجهين احدهما من
حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور
فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل
بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو
مشرف على الهلاك فيحتاج الى تعلم الدوا واستعماله فاشتغل
بتعلم دوا الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه
بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة
لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين
قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر
والريا وساير المهلكات الباطنة وربما تختطفه المنون قبل التوبة
والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل

بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات
والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شي من ذلك
قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان من المفتين كثرة
فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة
وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه
مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل
الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما
قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه الله
فهو باشتغاله به معرض عن فروض عينه في جوارحه وقلبه فهذا
غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على
علم الفتاوى وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله
وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون
وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله
وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل
على التقوى فتراه امنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد
وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال
والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره

ما سمع من الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو
الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر
القلب الخوف ويلازم التقوى إذ قال تعالى فلولا نفر من كل
فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا
إليهم والذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم فإن مقصود هذا
العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال
وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب
وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب
التي هي من الصفات المذمومة هي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى
وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله
في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على
خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن
المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب
العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه
إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصم ودفع الحق لأجل
الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات
أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبب

المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الإيذاء وهمهم السفه
ولا يقصدون العلم إلا بضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران
وكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك
الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة
فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وإنما
التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين
في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوي
لكن زادوا واشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات بل وضا ما
جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما
أدلة الأحكام فيشتمل عليه علم المذهب وهو كتاب الله وسنة
رسوله وفهم معانيه وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد
الوضع والتركيب والتعدية إنما أبدع لإظهار الغلبة والإفحام
وإقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء أشد كثيرا وأقبح من غرور
من قبلهم وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء
والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة
المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة أولئك
وإفحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون

لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه
ادلة عقايدهم فظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم
وانه لا ايمان لمن لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل
فرقة منهم الى نفسه ثم هم فرقتان ضالة ومحقة الضالة التى
تدعوا الى غير السنة والمحقة هى التى تدعوا الى السنة والغرور
شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها
النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها
لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة
دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من
حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات فى دين
الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق
الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل
ولا يقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها فى تعلم
الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم
واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة
والباطنة واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله
وافضل ولكنها لا لتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة

وعز الانتما الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها فلم تلتفت
الى القرن الاول وان النبى عليه السلام شهد لهم بانهم خير
الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا
اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا
بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه
الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر
الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على
ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه فى الله ولم يلزموا
الملاحة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة
ومن السنة ترك الجدل فى الدعوة الى السنة اذ روى ابو
امامة عن النبى عليه السلام انه قال ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى
كانه فقئ فى وجهه الرمان حمرة من الغضب فقال لهذا بعثتم
ابهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم
به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا
اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا رسول الله وقد بعث

الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام
وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وايراد الزام فما جادلهم
الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان
ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه
ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم
بالتقسيمات ودقايق الاقيسة وان يعلم الصحابة كيفية الجدل
والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا
لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا
لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة
مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير
مجادلاتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم
فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في
تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده
التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة
نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو
لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف
ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي فانظر من

صفاتها ما يبغضه الله وما يحبه فاتنزه عما يبغضه واتمسك
بما يحبه **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر
والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظايرها
وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات
ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم
منفكون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين
وغرور هولا اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب
ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا
على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا
عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله لما
عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع
المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين
وهو امن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضا الله تعالى وهو من الساخطين ويرى انه
من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والجاه والمال
والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرايين بل يصف الاخلاص

فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الريا ويذكره ويرى بذكره الريا ويصف صح
ليعتقد فيه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الزهد في الدنيا
لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها وهو يظهر الدعا الى
الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه امن ويذكر الله
تعالى وهو له ناسي ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث
على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها
متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا
لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله لضاقت عليه الارض
بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل
الخلق عليه وصلحوا على يديه مات غما وحسدا ولو اثنى واحد
من المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهولاء
اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان
المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوايلها وفوايد ها
وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل
فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف يتسبل تخويفه وانما المخوف ما
يتلو على عباد الله فيخافون وهو ليس بخايف نعم ان ظن بنفسه
انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق

الامتحان والتجربة وهو ان يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي
تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه
بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله
مشاهده صح تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش عن
الخلق لا بل يرى قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه
يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رايت محبا انسا يستوحش
من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في
هذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق
بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون فاذا
كشف الغطاء عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فيدور
بهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا
ياتونه وينهون عن الشر ويأتونه وانما وقع الغرور لهولاء من
حيث انهم يصادفون من قلبهم شيا ضعيفا من اصول هذه المعاني
وهو حب الله والخوف منه والرضى بفعله ثم قدروا مع ذلك على
وصف المنازل العالية في هذه المعاني وظنوا انهم ما قدروا على
وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا
لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان

اللسان والمعرفة للتعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة
فلم يفارق احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل
في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى
الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال
مريض يصف المرض ويصف دواه بفصاحة ويصف الصحة والشفا
وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفا واسبابه ودرجاته
واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم
في الوصف والعلم بالطب فطنة عند علة تحقيقة الصحة انه
صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد
وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف
الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ
الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القران
والاخبار ووعظ الحسن البصري وامثاله وفرقة اخرى منهم عدلوا
عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل هذا الزمان الا من
عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه
فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون
الشرع والعقل طلبا للاغراب فطايفة سعفوا بطيارات النكت

وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد
باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم الزعقات
والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولا شياطين الانس ضلوا
واضلوا عن سوا السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا بانفسهم فقد
اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هولا فانهم يصدون
عن السبيل ويجرون الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الرجا
فيزيدهم كلامهم جراة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا
كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب يشهد فرقه الى
قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما
يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا
وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم
الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة
بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب
وبعضهم في الاسواق مع الجلسا وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا
القدر عن السوقية والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين
دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله
من غير ان يحفظ ظاهره عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل

اهل الدين بكيفيته وغرورهم لا اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى
استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعها وجمع الروايات
الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان
يدور في البلاد ليرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت
فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها
انهم لحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة
فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها
انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا
ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عينهم وهو
معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب
الاسانيد العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي
اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع
بمجرده وان لم يكن له فايدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات
الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد الفهم فالاول السماع
ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهولاء اقتصروا من الجملة
على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ
والحديث يقرا والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع

فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا
يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او نسخ والشيخ
الذي يقرا عليه لو صحف وغير ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه
وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول
الله فتحفظه كما تسمعه وترويه كما سمعته حفظته فتكون
الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول
الله سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك من الراوي كسماع
من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي
كما حفظته وتحفظ كما سمعته بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك
منه حرفا واخطا علمت خطاه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ
بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري
الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا
تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك
فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر
بتغييره فيكون معك محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك
مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ
بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم

رأيت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه معيرا او يفارق حرفا
منه النسخة التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب
فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا خلاف ما فيه ولو في
كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت
علمها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان
انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب
صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع
من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل
والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون
ثم بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو
جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب
سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل
والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل
فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان
فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يفهم الصوت فماذا ينفع
هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت وليقتصر اذا صار شيخا

على ان يقول سمعت بعد بلوغي اي في صباي حضرت مجلسا يروى
فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف
في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو
جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا
لجاز اثبات صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا
وهل للسماع مستند الا قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرا سمع مقالتي فحفظها واداها كما سمعها وكيف يودي
كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذا افحش انواع الغرور وقد
بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا
الذين سمعوه من الصبي على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين
في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من
يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها
بهذا الشرط بل لو عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس
بشرط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة
السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء
اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا
غرور هولاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على

النقل وفي اقتناعهم في جميع الروايات والاسانيد واعراضهم
عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث
سلوك طريق الله بما يكفيه الحديث الواحد عمرا كما روي عن بعض
الشيوخ انه حضر مجلس السماع وكان اول حديث روي قوله
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا
حتى افرغ منه ثم اسمع غيره وهكذا يكون سماع الاكياس الذين
يحذرون الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة
والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم
من علماء الامة اذ قوام الدين الكتاب والسنة وقوام الكتاب
والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحويين
وفي صناعة الشعر او في غرائب اللغة ومثالهم كمن يفني جميع العمر في
تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن
الا بالكتبة فلا بد من تعلمه وتصحيحه ولو عقل لعلم انه يكفيه ان
يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على
الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك
والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في لغة الترك والهند وانما
فارقتهم لاجل ورود الشريعة فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث

ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات
لا تتناهى فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة
المعاني الصحيحة والعمل بها فهو ايضا مغرور ومثاله مثل من ضيع
العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور
اذ المقصود المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى
ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين
القدح الذي يحفظ فيه السكنجبين فهو من جهال المغرورين فكذلك
غرور اهل النحو واللغة والادب والقراآت والتدقيق في مخارج
الحروف مهما تعمقوا فيها او تجردوا او عرجوا عليها اكثر مما يحتاج
اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي
فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما
فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو
قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو
العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف
والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات
منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ما وراءه حتى
وصل الى لباب العمل وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجي

عمر في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوايب والافات
فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وساير العلوم خدم
له ووسايل اليه وقشر له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ
المقصد فقد خاب سوا في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه
العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم
ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم وكان الغرور اقل من الغرور
بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما
يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو
المنتهى والثاني محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذ القشر
مقصودا او عرج عليه فقد اغتر به **وفرقة اخرى** استغرقوا اوقاتهم
في علم الفقه وظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في
مجلس القضا فاحكموا الحيل في دفع الحقوق واسا وا تاويل الالفاظ
المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى
والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة
الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة
مهما ابرات عن الصداق بري الزوج بينه وبين الله وذلك خطا بل
الزوج قد يسي الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسو الخلق فتضطر

الى طلب الخلاص فتبرا من الزوج لتتخلص فهو ابرا لا عن طيبة نفس
وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا وطيبة النفس
غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فالانسان
يريد الحجامة بقلبه ولكن يكرهها بنفسه فانما طيبة النفس ان
تسمح نفسها بالابرا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين
اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم
ان القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابرا
الظاهر وانها لم تكره بسيف ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع
عليه الخلق ولكن مهما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيمة للقضا
لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرا وكذلك لا يحل ان
يوخذ مال الانسان الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على
ملا من الناس واستحيى من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سواله
في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس وخاف الم تسليم المال
وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه
فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن
بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون
الالمين والسوال في مظنة الحيا والريا ضرب للقلب بالسوط ولا

فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله
ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله
وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك كل من
يعطي ابقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك
كل مال يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى ما جاء في قصة
داود حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف بخصمي فامر بالاستحلال
وكان ميتا فامر بندايه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه
لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسات اليك
في امر فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى
ذلك فقال له جبرئيل هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع
فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك
ذنبا قال الم اهبه لك قال او لا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو
يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال يا
اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى اقف معك
بين يدي الله فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الراس حتى وعد الله
ان يستوهبه منه يوم القيمة وهذا ينبئك ان الهبة من غير طيبة
قلب لا تفيد وان طيبة القلب لا يحصل الا بالمعرفة فكذا طيبة القلب

لا يكون في الابرا والهبة وغيرهما الا على اختياره حتى تنبعث
الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر بواعثه الى الحركة
بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في اخر الحول
من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول
سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي
قد سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد
زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن
باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين
وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل
مهلك قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه
مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم مطاعا ثم يظن ان فيه
خلاصه فان الله تعالى مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه
بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق
الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح
للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين
الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم
رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة

العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله وكل ما لا بد للعبد
للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو
فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا
لملأنا فيه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة يعرف بها الاجناس
دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف الثاني** ارباب
العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره
في الصلاة ومنهم في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو
ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس
خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم **فمنهم فرقة** اهملوا الفرايض
واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضايل حتى خرجوا
الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضو فيبالغ
فيه ولا يرضى الما المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
البعيدة قريبة من النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر
الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا
الاحتياط من الما الى الطعام لكان اشبه بسير الصحابة اذ توضأ عمر
رضي الله عنه بما في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان
يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج الى

الاسراف في صب الما وذلك منهي عنه وقد يطول الامر وتضيع
الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور
لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الما
وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشيا فيما له
مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق ولا يقدر
على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك
وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان
حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عقله حتى يفوته الجماعة ويخرج الصلاة
عن الوقت وان تم تكبيرة واحدة فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته
وقد يوسوس في التكبير حتى يغير صيغة التكبير لشدة الاحتياط
فيه يفعلون ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون
قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية
في اول الوقت وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير
من ربهم **وفرقة اخرى** تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق
الضاد والظا وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا
يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى

إيثاره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة
القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام
ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن
يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف
ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد أخرى وهو مع ذلك غافل
عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن يقام
عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل
وفرقة أخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمون
في اليوم والليلة مرة ولسانهم يجري به وقلبهم يتردد في أودية الأماني
إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف
عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك
مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور
يظن أن المقصود من القرآن الهمهمة به مع الغفلة ومثاله
عبد كتب إليه مالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي ولم
يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر
في خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه مكرر للكتاب بنغمته وصوته كل
يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد

منه فهو مغرور نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه
يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد
يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن
أن ذلك لذة مناجاة الله وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته
ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو
مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن ذلك لذته بكلام الله من حيث
حسن نظمه ومعانيه أو لصوته **وفرقة أخرى** اغتروا بالصوم وربما
صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم
من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الإفطار
ولسانهم من الهذيان بأنواع الفضول طول النهار ومع ذلك يظن
بنفسه الخير يهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك
غاية الغرور **وفرقة أخرى** اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج
عن المظالم وقضاء للديون واسترضاء للوالدين وطلب الزاد الحلال
وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الإسلام ويضيعون في الطريق
الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون
لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام
وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به

السمعة والريا فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالريا
ثانيا فلا هو اخذ من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت
بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيرها
على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور
وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير
عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال
انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تاخر
عنه غلظ القول عليه فانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد
المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله ولو
جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم اخذ
حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه
على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره
وان كان اورع واعلم منه ثقل عليه وفرقة اخرى جاوروا بمكة او
المدينة واغتروا بها ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم
قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قولهم ان فلانا مجاور بمكة تراه
يتحدث ويقول قد جاورت بمكة كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك

صريح التحدي واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم يجاور ويمد عين
الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منه شيا شح عليه
وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه
الريا والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك
المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال انه من المجاورين الزمه الجوار
مع التضمخ بهذه الرذايل فهو ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال
وعبادة من العبادات الا وفيها افات فمن لم يعرف مداخل
افاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب
احيا علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة
وفي الحج والزكاة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي رتبناها
فيها وانما الغرض الان الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب
وفرقة اخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون
ومن المسكن بالمساجد فظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع
ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد
الزهد فقد ترك اهون الامرين وبا باعظم المهلكين فان الجاه
اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب
وهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى

الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وان
يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرايا متصفا بجميع خبايث
الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك
مغرور اذ يتطاول بها على الاغنيا ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم
بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف
بجملة خبايث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذ
خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر
ورده في الباطن لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد
الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو
مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنيا وتقديمهم على الفقرا
والميل الى المريدين له والمثنين عليه والنفرة عن المايلين الى غيره من
الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد على
نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ويختم
القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره
من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم
فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن ذلك بنفسه توهم انه مغفور له
لعمله الظاهر وانه غير مواخذ باعمال القلب وان توهم فيظن ان العبادا

الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى
وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا
بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سو خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه عن الريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد الارض
واوليا الله واحبابه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا
وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري
ان ذلك لجهل الناس بخبايث باطنه وفرقة اخرى حرصت على النوافل
ولم يعظم اعتدادها بالفرايض تراه يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل
دره وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبا
بها في اول الوقت وينسى قوله عليه السلام ما تقرب المتقربون الى
الى بمثل ادا ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور
بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت لان
احدهما يضيق وقته والاخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا
ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة
وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرايض كلها
على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض
كفاية لا قايم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض

الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما
يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك
فادناك فينبغي ان يبدا في الصلاة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان
استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين
والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا
من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد
ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت فالاشتغال بالوفا بالوعد
معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك يصيب ثوب النجاسة
فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذور
وايذاؤهما محذور والحذر من الاذى اهم من الحذر من النجاسة وامثلة
تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع
ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية العموم لان المغرور فيه في
طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك طاعة
واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه
لحق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة

بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج
اليه غيره في جوارحهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه اولى به الا
ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهات وقهر الاقران والمتقدم
عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بهم دينه
الصنف الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم
فرق ففرقة هم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا
بالزي والمنطق والهياة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم
وهياتهم وفي الفاظهم وفي ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي
احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس
على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي
تنفس الصعدا وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل
والهيات فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فظنوا انهم
ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة
القلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل
ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان
يعدوا انفسهم من الصوفية ولم يحوموا حولها ولم يسوموا انفسهم شيئا
منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون

في الرغيف والفلس والجبة ويتحاسدون على النقير والقطمير
ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء
غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان
والابطال من المقاتلين يثبت اسمهم في الديوان ويقطع لكل واحد
منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة
فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال
ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها
وتعلمت كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف تحركهم الايدي
وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات
ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما
وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن
المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان
ليعرف قدر عنايه في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع
فاذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل
أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل الحضرة والتلبيس عليه
خذوها فالقوها الى قدام الفيل ليسحقها فالقيت الى الفيل وهكذا
يكون حال المدعين للتصوف في القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا

على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل ينظر الى
سر القلب **وفرقة اخرى** زادت على هؤلاء في الغرور اذ شق
عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت
ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزيي بزيهم فتركوا
الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة
والسجادات المصبوغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز
والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب
وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسله
في كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع اذ كانت ثيابهم
مخرقة وكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط
الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه
ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم
يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد
العيش وياكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة
فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر
هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي
بهم تفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم

كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكان
ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم وفرقة اخرى ادعت علم
المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملا
زمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا تعرف هذه الامور
الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات
كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين
فهو ينظر الى الفقها والمفسرين والمحدثين واصناف العلما بعين
الازدرا فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك
حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات
المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار
ويستحقر بذلك جميع العباد والعلما فيقول في العباد انهم اجرا
متعبون ويقول في العلما انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي
لنفسه الوصول الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار
المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما
ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع
الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى منهم وقعت في
الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام

فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب
الدنيا وذلك محال ولا يطمع فيه الا الاحمق لان الناس لم يكلفوا قلع
الشهوة والغضب من اصلهما بل باماتتهما بحيث ينقاد بحكم
العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها
وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى
الى معرفة الله وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في
الحضرة الربوبية ونحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب
ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العلوم واستغنوا عن تهذيب
النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن رتبة العوام
لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ
كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها
وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين
بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس يخدعهم
الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير
اقتدا بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتدا واحصا اصنا فهم
يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هولا واجتنبت الاعمال

وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي
المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف
على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها
فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله
ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة او كفر فيدعي حب الله
قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن ايثار
هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق
ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك
يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض
البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك
بدعة لم ينقل من السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل
منه فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل
كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا
ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به
وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر بها
قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات فلا يمكن اعادته
وفرقة اخرى ضيقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال

الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة
الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه
واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض
من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب
الحلال بل لا يرضيه الا بتفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن
ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى
ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة
الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك
سبيلا للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة
والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق
وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية
ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر
اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين
وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية
ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الريا والسمعة
وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا
ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في

طريق الحج لا لارادة الله لكن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة
ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة
وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون
فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما
وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس
واستنباط دقيق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس عيب
والغفلة عن كونه عيبا والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون
فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل
طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن
اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج
فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا
سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي
المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا واعجبتهم غرابتها فتقيدت
قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها
عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق
الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه
وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد ملكا فراى على

باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد راى قبل
ذلك قبله فوقف ينظر اليه حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه
لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض
عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة
ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في المسير
حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله فظنوا انهم وصلوا
الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك
الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه وصل واليه الاشارة
بقول ابرهيم عليه السلام اذ قال اخبارا عنه فلما جن عليه الليل
راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة
فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست
واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره
الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد به انه نور من الانوار
التي هي من حجب الله وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى
الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم
من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها
الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم عليه السلام لما ارى ملكوت

السموات حيث قال الله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما
يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى
اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى
الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما
ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيرة النقص
والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذا الطريق
قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول
واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر
رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة
الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه
صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر
فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب
بمشكوة هي كالساتر له فاذا انجلى نوره وانكشف جمال القلب
بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب
فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة

فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف
عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة
الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور
وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون
ما يتراءى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج
بالزجاج كما قيل ٥ رق الزجاج ورقت الخمر
فتشابها فتشاكل الامر ٥ فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر ٥ وبهذه العين نظر النصارى الى
المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلالا فيه فغلطوا فيه كما
يرى كوكبا في مراة او في ماء فيظن ان الكوكب في المراة او في الماء
فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق
السلوك الى الله لا تحصى ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم
المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه
ايضا الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج ان يسمعه
من غيره والذي لم يسلكه لم ينتفع بسماعه بل ربما يتضرر به اذ يورثه
ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من
الغرور الذي هو فيه اذ ربما تصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله

بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق أيضاً بما يحكى من المكاشفات التي أخبر عنها أوليا الله ومن أعظم غروره ربما أصر مكذباً بما سمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع** أرباب الأموال والمغترون منهم فرق

ففرقة منهم يحرصون على بنا المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما أنهم يبنونها من أموال كسبوها من الظلم والنهب والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فإذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى أماكنها إما بأعيانها وإما برد بدلها عند العجز فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الريا وجلب الثنا وحرصهم على بقائها

لبقا اسمهم بها لا لبقا الخير والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحداً منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب فلولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك

وفرقة أخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضاً مغرورة من وجهين أحدهما الريا وطلب الثنا فإنه يكون في جواره أو في بلده فقرا وصرف المال إليهم أهم من الصرف إلى المساجد وزينتها وإنما يخف عليه الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني أنه يصرفه إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب الصالحين ومختطفة أعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب الصالحين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة إلى الله وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن أنه مطيع لله وممتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك

جـ

كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله قال
ملك بن دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال
مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا
ينبغي ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية
على المسجد لا بان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة
على الله وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى
هذا المسجد ما احسنه فقال امتي امتي حقا اقول لكم لا يترك الله
من هذا المسجد حجرا قايما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله
ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم
شيا وان احب الاشيا الى الله تعالى القلوب الصالحة بها
يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال
ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم
مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجد المدينة
اتاه جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة اذرع طولا في
السما لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث راى المنكر
معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات

على الفقرا والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقرا
من عادته الشكر والافشا للمعروف ويكرهون التصدق في
السر ويرون اخفا الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم وكفرانا
وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى
وربما تركوا جيرانهم جايعين ولذلك قال ابن مسعود في اخر
الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في
الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين
القفار والرمال وجاره ماسور الى جنبه ولا يواسيه وروي
ابو نصر التمار ان رجلا جا يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت
على الحج فتامرني بشي فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي
درهم قال بشر فاي شي تبتغي بحجك تنزها او اشتياقا الى البيت
او ابتغا مرضات الله قال ابتغا مرضات الله تعالى قال فان اصبت
رضى الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من
مرضات الله تعالى اتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها
عشرة انفس مديون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل
يحيي عياله ومربي يتيم يفرحه فان قوي قلبك تعطيها واحدا
فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف

الضر واغاثة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام
قم فاخرجها كما امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا
نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال له
المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان
تقضي به وطرا فاظهرت اعمال الصالحات وقد آلى الله على
نفسه الا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات
البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل
والختم للقرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على
باطنه فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب
فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد
اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به
الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك
قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين
ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام
للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه
نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء

وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة
فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون
عنه ويطلبون من الفقرا من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او
من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه
على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن
يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته
وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور
يظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره
فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما
ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور وفرقة اخرى
من عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اغتروا بحضور مجالس
الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة
ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ
اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير
فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث
على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا
قصر عن الادا الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه

من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما يدخله
رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على
ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان
الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله
مثال المريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري والجايع يحضر
عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف وذلك
لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات
دون العمل بها لا يغني من الله شيئا وكل وعظ لم يغير منك صفة
تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا
قويا او ضعيفا فذلك الوصف زيادة حجة عليك فاذا رايته
وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور
امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس
اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول
الانسان اذا فترت همته عن شي اظهر الياس واستعظم الامر
واستوعر الطريق فاذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط
بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان
اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه فاستنزله

واراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحر فاستصعده واراد
ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاستخرجه واراد
ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها
واراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخرها
واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج
الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من
ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها
وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض
وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس والكلب
للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة
لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي كل ذلك
لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر
اخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن
تقويم قلبه ويتخاذل ويقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه
وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما
يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شي لم يعجز عنه
السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت

ارادته وقوة همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط ط
حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه
بعد ما اكثرت في مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم
انه ينجو عنه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة
امور لا بد منها اما العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور
الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة
والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على
التحفظ عن الغرور فصفا العقل وذكا الفهم لا بد منه في اصل
الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل
اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل
والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي
قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين يستوي عملهما
وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل
كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل
من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت
الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزوا
في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنايز ويعين الضعيف ما يعلم

منزلته عند الله يوم القيمة فقال رسول الله انما يجزى
على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله فقالوا
خيرا فقال عليه السلام كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول
من عبادته وفضله ومن خلقه فقال كيف عقله فان الاحمق
يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على
قدر عقولهم وقال ابو الدردا كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا
حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر
له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وغريزة العقل نعمة من الله
في اصل الفطرة فاذا فاتت بلادة وحماقة فلا تدارك له **الثاني** المعرفة
واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا
ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا
العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا
هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف
هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وستستعين على هذا بما ذكرناه
في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر

ادنيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى
ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراه فان هذا
من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم
المعاملة واما معرفة الدنيا والاخرة فيستعين عليه بما ذكرناه
في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا
نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا
والاخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الاخرة شدة الرغبة
فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى
الله وينفعه في الاخرة فاذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته
في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضا الحاجة كان قصده
منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحت نيته واندفع عنه
كل غرور منشاوه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال
فان ذلك هو المفسد للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة
وهوى نفسه احب اليه من رضى الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور
فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال
عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك
الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بافات

علوم

الطريق وعقباته وغوايله وجميع ذلك قد اودعناه كتب
احيا الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وافاتها
فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه
فياخذه بادب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع
المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع
من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق
علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان
توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك
امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله
ان يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به
الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها
فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول
يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر
العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا
فرغ عن تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات
واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها
وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد

وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه
وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأيسه من جهة الدنيا وشهوات
النفس فلا يطمعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على
خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعا الى الله تعالى
فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في امرهم سكارى
في دينهم صما عميا استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا
الطبيب واشرفوا على العطب فغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان
عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى
سعاداتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤونة ولزوم غرامة
وقد كان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان
لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف
لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا
مرارة في تناوله فاستعمل فبرى وصح فطاب نومه بالليل بعد طول
سهره وهدا بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية
الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير
من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقلهم
وارتفع الى السما انينهم فتذكر ان دواهم هو الذي يعرفه ويقدر

شفائهم باسهل ما يكون وفي اوحى زمان يقدر فاخذته
الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه بالتراخي عن الاشتغال
بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق
وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم
واعضل داوهم وقرب هلاكهم وشفاوهم وسهل عليه دواوهم
فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه
الشيطان على ذلك رجا ان يجد مجال الفتنة فلما اشتغل به
وجد الشيطان مجال الفتنة فدعا الى الرياسة دعا خفيا اخفى
من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه
حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات
والحركات والتصنع في الزي والهيات فاقبل الناس اليه يعظمونه
ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شا فيا
لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من
ابائهم وامهاتهم واقاربهم فاثروه بابدانهم واموالهم وصاروا له
خولا كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على
الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت
لذة يا لها من لذة واصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة

فلقد كان ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك
وجد الشيطان فرصة وامتد الى قلبه يده فهو يستعمله
في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارته انتشار الطبع
وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي
الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر
الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد
المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما اخرجه
ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة
بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن
قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات
وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت
النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك بالاستغفار
وتنفس الصعداء وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان
يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رايهم عن طريق الله
فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع
من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من
اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به

ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر
كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا
ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم
ذلك اذ مثاله ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا
في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الترقي بسببها
ورق قلبه لاخوانه فجاء يرفع الحجر من راس البئر وشق عليه
فجاء من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه
بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر
فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر
من اعانه او كفاه ذلك فلم يثقل عليه ارايت لو اهتدوا
جميعهم بانفسهم لم كان ينبغي ان يثقل ذلك عليه وان كان
غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد
ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفوا حش
الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى
ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فما يصح له ان
يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن قصد سوى هدايتهم لله
وكان يود لو وجد من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع

بالكلية طمعه عن ثنائهم واموالهم فاستوى عنده حمدهم
وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم
يقترن به حمد الله ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم
اما الى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا
من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطع
طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم
فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية
ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس
كالماشية التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال
باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم
فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت
فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت
الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولو لم يحب
الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب
والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا
مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين

الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر
ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك
ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم
بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى لقد حق القول مني لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا يزال السنة
الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول
ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا
والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ولرسوله
ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس
فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله
يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان يفسد طريق
الاتعاظ فاما ان تخرس السنة الوعاظ وورائهم باعث الرياسة
وحب الدنيا فلا يكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد
هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح او
نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه
وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه

بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت
مني بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء
والكبرا وما قدرت عليك فما اصبرك فما اعظمك عند الله
محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل
غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من العدو
كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك
الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن
ادم اذا ظننت انك بعلمك افلت مني فبجهلك وقعت في حبائلي
فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا
منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته
ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل
هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما
الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله
والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن يبقى على هذه الوتيرة في
المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل
الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن من مكر الله
فهو خاسر جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا لجملة ذلك من فضل الله

ثم خائفا على نفسه ان يكون قد شذ عنه صفة من صفات
قلبه من حب دنيا وريا خلق والتفات الى غرور وهو غافل عنه
ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل تطريفة غير امن من مكر
الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا يحيص عنه
وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال
الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس
فقال هل افلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل
الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا
العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على
خطر عظيم فاذا العالم والعامل هالك والمخلص الفار من الغرور
على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله
ابدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها ۞

تم كتاب الغرور وهو اخر ربع المهلكات
بعون الله وحسن توفيقه وبتمامه تم الجزء
السادس من كتاب احيا علوم الدين للغزالي
رضي الله عنه ويتلوه ربع المنجيات ۞
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا النبي محمد وسلم كثيرا